المكتبة الثقافية

٨

رمضان

حسن عبد الوهاب

المكتبة الثقافية

- أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة
- تيسر لكل قارئ أن يقيم فى بيته مكتبة جامعة تحوى جميع ألوان المعـــرفة بأقلام أساتذة متخصصين وبقرشين لكل كتاب ٠
- تصدر مرتين كل شهر ٠ فى أوله وفى منتصفه

الكتاب القادم

أعلام الصحابة

أولو الرأى

للأستاذ محمد خالد

مطابع دار القلم بالقاهرة

الثمن ٢ م

المكتبة الثقافية

٨

رمضان

حسن عبد الوهاب

وزارة
الثقافة والإرشاد القومي
الإقليم الجنوبي
الإدارة العامة للثقافة

الناشر

دار القلم

١٨ شارع سوق التوفيقية بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ
شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ
وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ » .

(قرآن كريم)

شهر رمضان

إذا لم يكن لشهر رمضان ميزة سوى بدء نزول القرآن فيه لكفاه فخراً وتكريماً وتفضيلا على بقية الشهور ، فما بالك وفيه ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر .

قال الله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخَرَ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخَرَ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الصيام جُنَّة ، فإذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أوشاتمه فليقل : إنى صائم مرتين . والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند

عند الله من ريح المسك ، يقول الله عز وجل يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى . الصيام لى وأنا أجزى به ، والحسنة بعشر أمثالها .

والصوم أحد أركان الإسلام . يهذب النفوس ويسمو بالأرواح ويصفى النفوس من زخرف الدنيا وشهواتها .

وهو شهر الصيام والقيام والإطعام والتسبيح والتراويح والمروءة والفتوة ، وقيل بأن رمضان فى الأيام كالنبى صلى الله عليه وسلم فى الأنام

العناية بشهر رمضان

وقد عنى به المسلمون فى سائر الأقطار ، وأحاطوه بأنواع التكريم ، وأحيوه بصنوف العبادة ، وأغدقوا فيه الخير على الفقراء والمعوزين .

ولمصر عناية بتكريم هذا الشهر وخاصة فى الدولة الفاطمية التى كانت أيام حكمها مواسم وأعياداً .

وعجبت للقضاعى وهو ممن أدرك العصر الفاطمى فى أوج مجده ورأى بنفسه عظمة الحفاوة بهذا الشهر فى مصر — يعد رمضان بمكة من عجائب الإسلام فى جملته المأثورة « عجائب الإسلام أربعة : - عرض الخيل بمصر ، ورمضان بمكة ، والعيد بطرسوس ، والجمعة فى بغداد » ولكن إذا عرف السبب بطل العجب . فالقاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى كان إماماً فى الفقه والحديث فاستهواه جلال رمضان فى الحرم المكى ، فقد كانت تحيى لياليه بتلاوة القرآن والصلوات ، ويجتمع فيه أهل مكة فلا يبقى فيه زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارئ أو مصلٍّ ، فيرتج المسجد لأصوات القراء من كل ناحية ، وقد حضر رمضان فى الحرم المكى الرحالة ابن جبير فى سنة ٥٧٩هـ ١١٨٣م ووصفه بقوله :

• حينما استهل هلال رمضان وقع الاحتفال فى المسجد الحرام بهذا الشهر المبارك ، وقد جددت الحصر وكثر الشمع والمشاعيل ، وغير ذلك من آلات الإضاءة ، حتى تلألأ الحرم نوراً وسطع ضياءً .

ومنذ اليوم الأول تتفرق الأئمة لإقامة التراويح فرقاً : فالشافعية فوق كل فرقة منها قد نصبت إماما لها فى ناحية من نواحى المسجد ، والحنبلية كذلك ، والحنفية كذلك ، والزيدية . وأما المالكية فاجتمعت على ثلاثة قرّاء يتناوبون القراءة . وهى فى هذا العام أحفل جمعاً ، وأكثر شمعاً ؛ لأن جماعة من التجار المالكيين تنافسوا فى ذلك فجلبوا لإمام الكعبة شمعا كثيراً ، من أكبره شمعتان نصبتا أمام المحراب فيهما قنطار . وقد حفت بهما شمع دونهما صغار وكبار . فجاءت جهة المالكية تروق حسنا وتأخذ بالأبصار نوراً ، وكاد لا يبقى فى المسجد زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارئ يصلى بجماعة خلفه ، فيرتج المسجد لأصوات القراء من كل ناحية ، فتعاين الأبصار وتشنف الأسماع بما تخشع له النفوس خشية ورقّة . ومن الغرباء من اقتصر على الطواف والصلاة فى الحِجر ، ولم يحضر التراويح . ورأى أن ذلك أفضل ما يغتنم .

والشافعى فى التراويح أكثر الأئمة اجتهاداً . ذلك أنه يكمل التراويح المعتادة التى هى عشر تسليمات ويدخل الطواف مع جماعة فإذا فرغ من الطواف عاد لإقامة تراويح أخرى وضرب بالفرقعة(١) الخطيبيَّة ضربة يسمعها من فى المسجد ، لعلو صوتها ، كأنها إيذان بالعَود إلى الصلاة ، فإذا فرغوا من تسليمتين عادوا إلى الطواف ، فإذا أكملوه ضربت الفرقعة وعادوا لصلاة تسليمتين ، ثم عادوا للطواف هكذا إلى أن يفرغوا من عشر تسليمات ، فيكمل لهم عشرون ركعة ، ثم يصلون الشفع والوتر وينصرفون ، وسائر الأئمة لا يزيدون على العادة شيئاً ، والمتناوبون لهذه التراويح المقامية خمسة أئمة : أولهم إمام الفريضة ، وأوسطهم صاحبنا الفقيه الزاهد الورع أبو جعفر بن على الفنكىّ القرطبى ، وقراءته ترق الجماد خشوعاً .

والفرقعة تستعمل فى هذا الشهر المبارك ، وذلك أنه يُضرب بها ثلاث ضربات ، عند الفراغ من أذان المغرب ، ومثلها عند الفراغ من أذان العشاء الآخرة .

---

(١) الفرقعة — هى عود فى طرفه جلد رقيق مفتول يمسكه أحد القومة بالحرم وينفضه فى الهواء فيسمع له صوت عال يسمع فى أنحاء الحرم فيكون إعلاما بخروج الخطيب .

والمؤذن الزمزمى يتولى التسحير فى الصومعة التى فى الركن الشرقى من المسجد بسبب قربها من دار الأمير ، فيقوم فى وقت السحور فيها داعيا ومذكراً ومحرضاً على السحور، ومعه أخوان صغيران يجاوبانه ويقاولانه ، وقد نصبت فى أعلى الصومعة خشبة طويلة فى رأسها عود كالذراع ، وفى طرفيه بكرتان صغيرتان يرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لايزالان يوقدان مدة التسحير . فإذا قرب ميعاد الإمساك والتنبيه عليه مرة بعد مرة حط المؤذن المذكور القنديلين من أعلى الخشبة وبدأ بالآذان وثوب المؤذنون من كل ناحية بالأذان ، وفى ديار مكة الدور مرتفعة ، فمن لم يسمع نداء التسحير ممن يبعد مسكنه من المسجد يبصر القنديلين يوقدان فى أعلى الصومعة ، فإذا لم يبصرهما علم أن الوقت قد انقطع .

وكل وتر من الليالى العشر الأواخر يختم فيها القرآن ، فأولها ليلة إحدى وعشرين . ختم فيها أحد أبناء أهل مكة وحضر الختمة القاضى وجماعة من الأشياخ ، فلما فرغوا منها قام الصبى فيهم خطيبا . ثم استدعاهم أبو الصبى المذكور إلى منزله إلى طعام وحلوى قد أعدهما واحتفل فيهما ، ثم بعد ذلك ليلة ثلاث وعشرين ، وكان المختتم فيها أحد أبناء المكيين ذوى اليسار غلاما

لم يبلغ سنه الخمس عشرة سنة فاحتفل أبوه لهذه الليلة احتفالا بديعا ، وذلك أنه أعد له ثُريا مصنوعة من الشمع مغصنة قد انتظمت فيها أنواع الفواكه الرطبة واليابسة . وأعدّ لها شمعا كثيرا ووضع وسط الحرم شبيه المحراب المربع أقيم على قوائم أربعة تدلت منه قناديل مسرجة ، وأحاط دائر المحراب بمسامير مدببة الأطراف غرز فيها الشمع ، وأوقدت الثريا المغصنة ذات الفواكه . وأمعن فى الاحتفاء بهذا الاحتفال . ووضع بمقربة من المحراب منبر مجلل بكسوة مجزعة مختلفة الألوان ، وحضر الإمام الطفل فصلى التراويح وختم وقد ملئ المسجد بالرجال والنساء وهو فى محرابه وحوله الشموع ، ثم برز من محرابه رافلا فى أفخر ثيابه فاستقبله أحد سدنة المسجد ، وأوصله إلى ذروة منبره فاستوى مبتسما ، وأشار على الحاضرين مسلما . وجلس بين يديه قراء فابتدروا القراءة على لسان واحد ، فلما أكملوا عشرا من القرآن قام الخطيب فصدع بخطبته . وبين يديه فى درجات المنبر نفر يمسكون الشمع فى أيديهم ويرفعون أصواتهم بيارب يارب عند كل فصل من فصول الخطبة ، يكررون ذلك والقراء يبتدرون القراءة فى أثناء ذلك فيسكت الخطيب إلى أن يفرغوا ، ثم يعود لخطبته مشيرا إلى البيت العتيق عند ورود اسمه ، ثم ختمها

بتوديع الشهر المبارك وترديد السلام عليه والدعاء للخليفة ولكل من جرت العادة بالدعاء له ، ثم نزل وانفض ذلك الجمع ، ثم ذكر أن المعينين من ذلك الجمع كالقاضى وسواه خُصوا بطعام حفيل وحلوى على عادتهم فى مثل هذا المجتمع ، وكانت لأبى الخطيب فى تلك الليلة نفقة واسعة فى جميع ماذكر .

ثم كانت ليلة خمس وعشرين ، فكان المختتم فيها الإمام الحنفى وقد أعد ابنا له لذلك سنه نحو من سن الخطيب الأول المذكور. فكان احتفال الإمام الحنفى لابنه فى هذه الليلة عظيما ، أحضر فيه من ثريات الشمع أربعا مختلفات الصنعة فيها مشجرة مغصنة مثمرة بأنواع الفواكه الرطبة واليابسة ، ومنها غير مغصنة ، فصففت أمام خطيبه ، وتوج الحطيم بخشب وألواح وضعت أعلاه ، وجلل ذلك كله سرجا ومشاعيل وشمعا . فاستنار الحطيم كله حتى لاح فى الهواء كالتاج العظيم من النور ، وأحضر الشمع فى الشمعدانات النحاسية ووضع المحراب العودى فجلل دائره الأعلى كله شمعا ، وأحدق به الشمع فى الشمعدانات فاكتنفته هالات من نور . ونصب المنبر قبالته مجللا أيضا على الكسوة الملونة . فختم الصبى المذكور . ثم برز من محرابه إلى منبره فى أثواب رائعة المنظر . فصعد منبره وأشار بالسلام على

الحاضرين وابتدأ خطبته ، وحضر القراء بين يديه على الرسم الأول ، وانتهت الحفلة بالوليمة التى يقيمها والده - ثم يقول :

وأى حالة توازى شهود ختم القرآن ليلة سبع وعشرين من رمضان خلف المقام الكريم ، وتجاه البيت العظيم ، وإنها لنعمة تتضاءل لها النعم ، تضاؤل سائر البقاع للحرم .

« وقد جرت العادة أن الاستعداد للاحتفال بهذه الليلة المباركة يكون قبل ذلك بيومين أو ثلاثة ، وأقيمت إزاء حطيم إمام الشافعية خشب عظام ظاهرة الارتفاع ، موصول بين كل ثلاث منها بأذرع من الأعواد الوثيقة ، فاتصل منها صف كاد يمسك نصف الحرم عرضا ، ووصلت بالحطيم المذكور ، ثم عرضت بينها ألواح طوال مدت على الأذرع المذكورة ، وعلت طبقة منها طبقة أخرى حتى استكملت ثلاث طبقات ، فكانت الطبقة العليا منها خشباً مستطيلة مغروزة كلها مسامير محددة الأطراف لاصقا بعضها ببعض نصب عليها الشمع . والطبقتان تحتهما ألواح مثقوبة ثقبا متصلا وضعت فيها زجاجات المصابيح ذوات الأنابيب المنبعثة من أسافلها ، وتدلت من جوانب هذه الألواح والخشب ومن جميع الأذرع المذكورة قناديل كبار وصغار ، وتخللها أشباه الأطباق المبسوطة من النحاس معلقة

فى السلاسل (ونفهم من باقى وصفها أنها ثريّا نحاسية كبيرة) هذا عدا إضاءات أخرى فى أنحاء الحرم، مابين ثريات، وشمعدانات نحاسية بها الشمع مابين كبيرة وصغيرة، فأضاءت الحرم بأضواء ساطعة من الداخل والخارج حتى الشرفات فلا تقع العين إلا على نور. ثم تقدم القاضى فصلى فريضة العشاء الآخرة ثم قام وابتدأ بسورة القدر، وكان أئمة الحرم فى الليلة قبلها قد انتهوا فى القراءة إليها. وتعطل فى تلك الساعة سائر الأئمة من صلاة التراويح تعظيما لختمة المقام، وحضروا متبركين بمشاهدتها، ختم القاضى بتسليمتين وقام خطيبا مستقبل المقام والبيت العتيق، ولما فرغ من خطبته عاد الأئمة لإقامة التراويح، وانفض الجمع ونفوسهم قد استطارت خشوعا. والأنفس قد أشعرت من فضل تلك الليلة المباركة رجاء مبشرا بمن الله تعالى بالقبول، ومشعرا أنها ولعلها ليلة القدر المشرف ذكرها.

وفى ليلة ٢٩ اختتم سائر الأئمة التراويح وأضيئت الأنوار بالثريات وشمعدانات الشمع بالرسم السابق ذكره احتفالا بختام الشهر المبارك.

هذا موجز لوصف ابن جبير لرمضان فى مكة، وقد علق المقريزى المؤرخ على رأى القضاعى بقوله: إن عرض الخيل

فى مصر كان من عجائب الإسلام الأربع فى الدولة الطولونية . وقد ذهبت بهجة الجمعة فى بغداد بعد القضاعى بقتل هولاكو للخليفة المستعصم وزوال شعائر الإسلام من العراق ، وبقيت مكة شرفها الله تعالى وليس فى شهر رمضان الآن (القرن التاسع الهجرى .الخامس عشر الميلادى) بها مايقال فيه أنه من عجائب الإسلام .

رمضان مصر

يؤثر عن القاضي أبي عبد الرحمن عبدالله بن لهيعة ، الذى ولى قضاء مصر سنة ١٥٥ هـ . ٧٧١م أنه أول قاض حضر لنظر الهلال فى شهر رمضان ، وكان القضاة بعده يخرجون مع الناس إلى جامع محمود بسفح المقطم لرؤية الهلال فى رجب وشعبان احتياطيا لشهر رمضان ، واستمر القضاة يخرجون لرؤية الهلال . وأعدت لهم دكة عرفت بدكة القضاة على مكان بالجبل مرتفع عن المساجد ، وكان قضاة مصر يخرجون إليها لنظر الأهلة إلى أن بنى محلها مسجد فى العصر الفاطمى ، فصاروا يرصدونه من فوق المنارات .

ويؤثر عن أحمد بن طولون أنه زار مسجده وقت بنائه ، فرأى الصناع يشتغلون إلى الغروب وكان فى شهر رمضان. فقال : متى يشترى هؤلاء الضعفاء إفطاراً لعيالهم ، اصرفوهم العصر . فصارت سنة بمصر . فلما فرغ شهر رمضان قيل له : قد انقضى شهر رمضان فيعودون إلى عادتهم ، فقال : « قد بلغنى دعاؤهم وقد تبركت به ، وليس هذا مما يوفر العمل » .

وقد عنيت الدولة الفاطمية بهذا الشهر ، واحتفت به احتفاء

لم يسبق ولم يلحق، فكانت تحذر بيع المسكرات ابتداء من شهر رجب ، وتعاقب من يبيعها أو يشتريها سراً أو جهراً ، وخصته بحفلات يعد بعضها تمهيداً لحلوله ، والبعض لإعلان رؤية هلاله ، وهى حفلات غنية بمظاهر العظمة ، شاملة لأنواع البر والصدقات مما يرفه عن الفقير ويدخل السرور عليه .

فإذا أقبل شهر رمضان عهد إلى قضاة مصر بالطواف قبل حلوله بثلاثة أيام بالمساجد والمشاهد فى القاهرة ومصر . فيبدأون بزيارة جامع المقس ثم بجوامع القاهرة والمشاهد وجوامع مصر (الفسطاط) ثم بالمشهد الحسينى لتفقد ما تم إجراؤه فيها من إصلاح وفرش وتعليق قناديل .

وأعد الحاكم بأمر الله للجامع الأزهر تنوراً من الفضة و ٢٧ قنديلا ، ولجامع راشدة تنوراً و ١٢ قنديلا ، واشترط إضاءتها فى شهر رمضان . وبعده تعاد إلى مكان أعد لحفظها فيه . هذا عدا ثمن العود الهندى للبخور والكافور والمسك ، الذى يصرف لتلك المساجد فى شهر رمضان .

الاحتفال بأول رمضان :

إذا كان أول يوم من شهر رمضان اهتم الخليفة الفاطمى

بمهرجان إعلان حلول رمضان ، فيخرج متحلياً بملابسه الفخمة من باب الذهب أحد أبواب القصر الفاطمى الكبير وحوله الوزراء بملابسهم المزركشة ، وخيولهم المطهمة ، بسروجها المذهبة ، وفى أيديهم الرماح والأسلحة المكفتة بالذهب والفضة ، والأعلام الحريرية الملونة ، وأمامه الجند تتقدمهم الموسيقى صادحة بأنغام شجية . ويسير فى هذا الاحتفال تجار القاهرة من الجوهريين والصيارفة والصاغة والبزازين وغيرهم . وقد تبارى هؤلاء التجار فى معالم الزينة المقامة على حوانيتهم ، وتفننوا فيها بما يلفت نظر الخليفة . فيسير الموكب من بين القصرين إلى أن يخرج من باب الفتوح ، ثم يدخل باب النصر عائداً إلى باب الذهب ، وفى أثناء الطريق توزع الصدقات على الفقراء والمساكين . وحينما يبلغ الخليفة القصر يستقبله المصلون بتلاوة القرآن الكريم فى مدخل القصر ودهاليزه حتى يصل إلى خزانة الكسوة الخاصة ، فيغير ملابسه ويوزع الدنانير والهدايا ، ثم يتوجه لزيارة قبور آبائه حسب عادته . فإذا تم ذلك أمر أن يكتب إلى الولاة والنواب بحلول شهر رمضان بما نصه :

« الحمد لله كالئ خلقه فى اليقظه والمنام ، والكافل لهم بمضاعفة الأجر فى شهر الصيام ، وصلى الله على سيدنا محمد الذى

بعثه رحمة للأنام ، وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب أخلص ولى وأشرف وصى وأفضل إمام ، وعلى الأئمة من ذريتهما الداعين إلى دار السلام ، صلاة دائمة الاتصال مستمرة فى الغدو والآصال ، وإن من المسرة التى تتهادى والنعمة الشاملة الخلق جميعاً وفرادى ، ما من الله به من ظهور مولانا وسيدنا الإمام . . . صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين يوم . . . غرة شهر رمضان من سنة . . . إعلاماً بأول الشهر وافتتاحه ، وأن أول الصيام من فجره الأول قبل تنفس صباحه ، وتوجهه إلى ظاهر المعزّية القاهرة المحروسة فى عساكره المظفرة وجنوده ، وأوليائه وأنصاره وعبيده ، والمنة برؤيته قد تساوى فيها الكافة ، وملائكة الله مطيفة حافة ، وعوده إلى قصوره الزاهرة ، وقد شمل المستظلين بأفيائه . بسعادة الدنيا والآخرة . أصدر إليك هذا الأمر لتقف على الجملة ، وتشكر النعمة السابغة على أهل الملة . وتتلوها على أهل عملك . وتطالع بمكاتبتك فى ذلك ، فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله .

غرة رمضان :

وفى غرة رمضان يهدى الخليفة إلى جميع الأمراء وغيرهم من

الموظفين وأولادهم ونسائهم أطباقا مملوءة بالحلوى . وفى وسط كل طبق صرة بها نقود ذهبية ، فيعم هـذا الإنعام سائر كبار رجال الدولة .

إحياء ليالى رمضان :

كان فى القصر الشرقى الكبير قاعة أطلق عليها قصر الذهب ، أنشأها العزيز بالله ثم جددها الخليفة المستنصر بالله ، وقد وضع فيها سرير الملك ، فكان الخلفاء يتخذونها لجلوسهم وأعدوها لإقامة ولائم الإفطار فى شهر رمضان .

وكان يدعى لهذه الولائم ابتداء من اليوم الرابع من الشهر إلى السادس والعشرين منه العلماء والأمراء ، فإذا جاء وقت الغروب مدت الموائد فى هذه القاعة وحليت بالأزهار ، ونسقت عليها أنواع المأكولات والحلوى على هيئة قصور وتماثيل ، ويتصدر المائدة الوزير أو ولده أو اخوه ، فإذا انتهت المائدة وزعت الأطعمة على الفقراء والمساكين . وربما خص الرجل ما يكفى جماعة من الناس ، وقد بلغت نفقات شهر رمضان لمدة ٢٧ يوما ثلاثة آلاف دينار .

ويؤثر عن الخليفة الفاطمى العزيز بالله ، أنه أول من عمل

مائدة فى شهر رمضان يفطر عليها أهل الجامع العتيق (عمرو) وأقام طعاما فى الجامع الأزهر مباحا لمن يحضر فى شهور رجب وشعبان ورمضان ،وكان يخرج من مطبخ القصر فى شهر رمضان ١١٠٠ قدر من جميع ألوان الطعام تفرق كل يوم على المحتاجين والضعفـــاء .

سحور الخليفة :

بعد أن تنتهى حفلات الإفطار ، يجلس الخليفة فى شرفة كبيرة إلى وقت السحور لسماع القراء وهم يتلون القرآن ويرتلونه بأصوات جميلة ، ثم يحضر المؤذنون للتكبير والتغنى بفضائل رمضان مختتمين ذلك بالدعاء للخليفة ، ثم يأتى الوعاظ بعد ذلك فيقومون بنصيبهم فى ذكر فضائل الشهر ومدح الخليفة ، ثم تنصب حلقات الذكر ، ويظل الجميع على ذلك حتى منتصف الليل ، وهنا يأمر الخليفة بأن توزع عليهم الهدايا والحلوى والقطائف فيأكلون ويحملون منها لأولادهم .

وعند السحور تمد للخليفة مائدة فى مكان إفطاره ، ويحضر معه جلساؤه وخواصه فيأمر بأن يوزع عليهم مما قدم إليه من طعام وحلوى ، ثم يأذن لهم بالانصراف :

صلاة الجمعة فى رمضان :

وكان الخليفة الفاطمى يصلى أيام الجمع الثلاث الثانية والثالثة والرابعة من رمضان فى مساجد الحاكم والأزهر ، ويختمها بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وكان يصرف من خزانة التوابل الند وماء الورد والعود برسم بخور الموكب والمسجد ، وعقب الصلاة يذاع بلاغ رسمى (عرف بسجل البشارة)

وكانت تلك المواكب تحاط بأنواع العظمة ، ويشترك فى الاحتفاء بها ، وتسبقها مقدمات فيفرش المسجد بالفرش المختص بالخليفة يحمله كبار الفراشين وهو من الحرير الديبقى ، ويعلق على المحراب ستران مرقوم فيهما بالحرير الأحمر بعض قصار السور ـ على الستر الأيمن سورة الفاتحة وسورة الجمعة ، وعلى الأيسر سورة الفاتحة وسورة المنافقين بخط واضح ، ثم يصعد قاضى القضاة وفى يده مبخرة لطيفة فيها ند لا يشم مثله إلا هناك فيبخر ذروة المنبر التى عليها القبة المعدة لجلوس الخليفة للخطابة ، ويركب الخليفة فى موكب كركبه فى أول رمضان ، وملابسه بيضاء غير مذهبة توقيراً للصلاة ، وحول ركابه عدا الحراس قراء القصر من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة مناوبة من

حين ركوبه من القصر إلى حين دخوله قاعة الخطابة ، فيدخل من باب الخطابة فيجلس فيها وإن احتاج إلى تجديد وضوئه فعل . ويحفظ المقصورة الحرس الخاص من الداخل والخارج . فإذا أذّن للجمعة دخل إليه قاضى القضاة فقال : السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضى الخطيب ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله ، فيخرج ماشيا وحواليه الأستاذون المحنكون والوزير ووراءه من يليهم من الأمراء والحرس الخاص وبأيديهم الأسلحة حتى ينتهى إلى المنبر فيصعد حتى يصل إلى الذروة تحت القبة المبخرة والوزير على باب المنبر ووجهه إليه . فإذا استوى جالسا أشار إلى الوزير بالصعود فيصعد إلى أن يصل إليه فيقبل يديه بحيث يراه الناس . ثم يزر عليه القبة وتصير كالهودج . ثم ينزل مستقبلا للخليفة ويقف ضابطا للمنبر فيخطب خطبة قصيرة تكتب فى ديوان الإنشاء ، يقرأ فيها آية من القرآن الكريم ، ويصلى فيها على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ويعظ الناس وعظا بليغا موجزا . ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل إلى نفسه فيقول « اللهم وأنا عبدك وابن عبدك لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ويتوسل بدعوات تليق به ، ويدعو للجيوش بالنصر والتآلف ، وللعساكر بالظفر .

وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك ، ثم يختم الخطبة بقوله : « اذكروا الله يذكركم » فيطلع إليه من زرّ عليه القبة فيفك التزرير عنه وينزل القهقرى فيدخل الخليفة المحراب ويقف إماما والوزير وقاضى القضاة صفا ، ومن ورائهما الأمراء وكبار الموظفين ، والجامع مشحون بالشعب الصلاةوراءه ، فيقرأ فى الركعة الأولى ما هو مكتوب فى الستر الأيمن للمحراب ، وفى الثانية ما فى الستر الأيسر ، فإذا سمّع الخليفة سمع القاضى المؤذنين فيسمع المؤذنون الناس . فإذا فرغ خرج الناس وعاد الخليفة إلى القصر والوزير وراءه بين عزف الموسيقى وترحيب الشعب .

فإذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر ركب إلى الجامع الأزهر بنفس الاحتفال السابق وصفه . فإذا كانت الجمعة الرابعة منه ركب إلى الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) ، وزين له أهل القاهرة من باب النصر إلى الجامع الطولونى ويُزَيِّن له أهل مصر من الجامع الطولونى إلى جامع عمرو تحت إشراف والى القاهرة ووالى الفسطاط ، ويركب الخليفة من القصر سائرا فى الشارع الأعظم حتى يصل إلى الجامع العتيق ، فيؤدى صلاة الجمعة طبقا للمراسيم التى اتبعت فى جامع الحاكم ، فإذا قضيت الصلاة عاد إلى قصره ، وفى خلال ذلك كله لا يمر بمسجد إلا أعطى أهله دينارا على كثرة المساجد فى طريقه .

وعقب كل صلاة يذاع سجل البشارة بركوب الخليفة .
وهذه هى السجلات المذكورة بنصوصها التى تذاع وتنشر .

سجل الجمعة الثانية :

أفضل ما سير ذكره ، ووجب حمدالله تعالى عليه وشكره ، ما عاد على الشريعة بالجمال والبهجة ، وأضحى واصفه صحيح المقال صادق اللهجة ، فضاعف حسنه ومحّص سيئه وجعل أسباب السعادة متسهلة متهيئة ، وذلك مايسره الله تعالى من استقلال ركاب سيدنا ومولانا صلوات الله عليه وسلامه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، يوم الجمعة من شهر رمضان من سنة ... مؤديا خطبتها وصلاتها ، وضامنا لأمة ائتمت به خلاصها يوم الفزع الأكبر ونجاتها ، وفى وقار النبوة وسكينة الرسالة ، والهيبة المستولية على العظمة والجلالة ، والعساكر الجمة التى تغلق بمهابتها وترعج ، وتظن لكثرتها واقفة والركاب تهملج ، ولما انتهى إليه خطب ووعظ ففتح أبواب التوبة ، وآب إلى الطاعات من لم يطمع منه بالأوبة ، وصلى صلاة تقبلها جل وعز بقبول حسن . وقصر فى وصفها ذوو الفصاحة واللسن ، وعاد إلى مستقر الخلافة ومثوى الرحمة

والرأفة ، وعين الله له ملاحظة وملائكته له حافظة . اعلمت ذلك لتذيعه فى أهل عملك وتطالع بمكاتبتك .

سجل الجمعة الثالثة

لم يزل غامر كرم الله وفضله ، يفوز حاضره ما كان من قبله ، فنعمة الله سابغة ، ومنته متتابعة ، وملابسها ضافية ، ومغارسها نامية ، وسحائبها هامية . وهو جل وعز يضاعفها على من صلى وصام ، ويواليها عند من تمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصال لها ولا انفصام ، ويجدد من ذلك ما كان من بروز مولانا وسيدنا الإمام ... صلوات الله عليه وعلى آبائه الطـــاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، يوم الجمعة من شهر رمضان من سنة . . . فى شامخ عزه وباذخ مجده وتوجهه إلى الجامع الأزهر . وعساكره قد تجاوزت الحد ، وكثرت عن الإحصاء والعد ، فإذا تأملها الطرف انقلب عنها خاسئا وارتد ! ولما وصل إلى الجامع المذكور خطب فأورد من القول أحسنه . ووعظ فأسمع من الوعظ أوضحه وأبينه ، وصلى صلاة جهر بالقراءة فيها ورتلها ، وعاد إلى قصوره الشريفة وقد شملت البركات برؤيته ، ووفق من عمل بموعظته ، ونجا من اقتدى به فى صلاته ، واستولى على السعد من جميع أرجائه وجهاته ، أعلمناك ذلك لتعرف قدر النعمة به فاشكر الله

سبحانه بمقتضاه . «واعتمد تلاوة هذا الأمر على رؤوس الأشهاد».

سجل الجمعة الرابعة

من عوائد الله سبحانه الإحسان إلى عبيده، وتعويضهم الشكر عليه بنموه ومزيده ، والامتنان بتيسير عصيّه وتعجيل قصيّه وتقريب بعيده ، فهو لا يخليهم من نواجمه ، ولا يغنيهم من هواجمه . ولما أقبل هذا الشهر الشريف كان من عموم بركاته ، وشمول خيراته ، أن مولانا وسيدنا الإمام ... صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، وإلى فيض بركانه ، وأزكى أعمال المؤمنين فى استماع اختطابه والائتمام بصلاته . وفى هذا اليوم وهو يوم الجمعة من شهر رمضان أعمل ركابه إلى الجامع العتيق بمصر ليسهم لهذه المدينة من حظى الدنيا والآخرة مثل ما أسهمه وعجله لأهل المعزية القاهرة ، فكانت يُعجز وصفها كل لسان ، وظهر عليه السلام فى الرداءين : السيف والطيلسان ، والجيوش قد انبسطت وانتشرت ، والنفـــوس قد ابتهجت واستبشرت ، والألسنة قد عكفت على الدعاء بتخليد ملكه وتوفرت ، وعند وصوله خطب فأحسن فى الألفاظ والمعانى ، وحذر من تأخير التوبة والتضييع فيها والتوانى ، وصلى صلاة

شرفها الله وفضلها ، ورضيها تبارك وتعالى وتقبلها ، وانكفأ عائدا إلى قصوره ومنازله المعظمة ، ضاعف الله له ثوابه وأجره ، وأوجب شكره ، ورفع ذكره .

ويجب أن يعتمد إذاعة ذلك ليبالغ الكافة فى الاعتراف بالنعمة فيه ، ويواصلوا شكر الله تعالى عليه والمطالعة بما اعتمد فيه » .

* * *

ذكرت هذه السجلات « أو المراسيم » بنصها مع ما فيها لأعطى فكرة عن أسلوب الكتابة فى العصر الفاطمى ، فقد كانت تكتب فى ديوان الإنشاء ، ومن اختصاصه تحرير الخطب والرسائل على اختلاف توجيهاتها ، والبلاغات الرسمية . وكاتب تلك السجلات هو تاج الرياسة أبو القاسم على بن منجب الصيرفى ، من رؤساء الكتاب فى الدولة الفاطمية .

وقد احتفظت مصر بإقامة الجمعة الأخيرة من شهر رمضان فى جامع عمرو ، برغم ما طرأ عليه من تخرب وإهمال يتسابق إليها سكان مصر والقاهرة ، وتقام حوله الحفلات والملاهى .

ولما أتم مراد بك إصلاح الجامع بعد تخربه ، وذلك فى النصف الثانى من شهر رمضان سنة ١٢١٢ هـ ١٨٩٧ م أقيمت

فيه آخر جمعة من رمضان بعد انقطاعها ثلاثين عاما ، فاتخذت عادة حتى أبطلت سنة ١٩٥٤ م .

من هذا الاستعراض ، نقف على حقيقة منشأ صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان فى جامع عمرو ، تلك العادة التى كانت تعود على الجامع بالخير ، فقد كانت وزارة الأوقاف تعنى فى تلك المناسبة بإصلاح الجامع و نظافته .

آخر شهر رمضان

وفى آخر يوم من رمضان يدعو الخليفة إخوته وعمومته والمقربين منه لتناول الأفطار على مائدته ويحضر الوزير معهم . هذه هى مظاهر رمضان فى الدولة الفاطمية ، وقد أحيطت بمظاهر العظمة وتوارثها الأجيال .

رمضان فى دولتى المماليك :

وبعد الدولة الفاطمية استمرت العناية بالاحتفال برؤية هلال رمضان ، فقد كان يخرج قاضى القضاة ، والقضاة الأربعة والشهود ومعهم الشموع لرؤية الهلال ، وكان يشترك معهم محتسب القاهرة وتجارها ورؤساء الطوائف والصناعات والشعب ، وكانوا يشاهدون الهلال من منارة مدرسة المنصور قلاوون بالنحاسين ،

لوقوعها أمام المحكمة الصالحية (مدرسة الصالح نجم الدين). فإذا تحققوا من رؤيته، أضيئت الأنوار على الدكاكين وخرج قاضى القضاة فى موكبه تحف به الفوانيس بالشموع والمشاعل حتى يصل إلى داره، ثم تتفرق الطوائف إلى أحيائها معلنين بالصيام.

ولم تكن الأقاليم أقل عناية من العواصم بالاحتفال برؤيا رمضان، فقد شاهد ابن بطوطه الرحالة فى سنة ٧٢٧ هـ ١٣٢٧ م الاحتفال برؤيا رمضان فى مدينة أبيار ووصفه بقوله:

«.. ولقيت بأبيار قاضيها عز الدين المليجى الشافعى، وحضرت عنده يوم الركبة وهم يسمون بذلك يوم ارتقاب هلال رمضان، وعادتهم فيه أن يجتمع فقراء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين من شعبان بدار القاضى، ويقف على الباب نقيب المتعممين وهو ذو شارة وهيئة حسنة لاستقبال الوافدين. فإذا أتى أحد الفقهاء أو الأعيان تلقاه ذلك النقيب، ومشى بين يديه مقدما إياه قائلا «بسم الله سيدنا... فيسمع القاضى ومن معه فيقومون له ويجلسه النقيب فى الموضع اللائق به، فإذا تكاملوا هنـــاك، ركب القاضى وركبوا معه وتبعهم جميع من فى المدينة من الرجال والنساء والصبيان حتى

يصلوا إلى موضع مرتفع خارج المدينة ، وهو مرتقب الهلال . فإذا ما رأوه يعودون إلى المدينة بعد صـــلاة المغرب . وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ، ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع ويصل الناس مع القاضى إلى داره ثم ينصرفون . وهكذا يفعلون كل سنة » .

وهكذا بقية البلاد لا تكاد تخلو واحدة منها من جماعة فرغت نفسها بوحى من دينها لترصد الهلال وليكون لها شرف رؤيته وإلى نهاية دولة المماليك والجراكسة كانت تقام حفلات رؤيا هلال رمضان بعد رؤيته من منارة مدرسة المنصور قلاوون .

ذلك أن فى سنة ٩٢٠هـ ١٥١٤م بعد أن حضر القضاة الأربعة بالمدرسة المنصورية ، وحضر المحتسب وبعد رؤية الهلال سار المحتسب على رأس موكب كبير تتقدمه المشاعل وتحيط به الشموع والفوانيس ، وأضيئت الحوانيت فى جميع الشوارع التى سلكها إلى داره ثم تفرقت الجموع معلنين الصيام .

وفى مستهل الشهر يجلس السلطان فى الميدان تحت القلعة ويتقدم إليه الخليفة والقضاة الأربعة بالتهنئة ثم يستعرض أحمال الدقيق ، والخبز والسكر . والغنم والبقر المخصصة لصدقات رمضان يعرضها

عليه المحتسب بعد أن يكون استعرضها فى أنحاء القاهرة تتقدمها الموسيقى فينعم على المحتسب وعلى كبار الموظفين .

واستمرت حفلات الرؤيا يشترك فيها الشعب بطوائفه حينما انتقل إثبات الهلال إلى المحكمة الشرعية . فقد كان يحتفل بها احتفالا عظيما ، فيخرج موكب الرؤيا من محافظة مصر إلى المحكمة الشرعية تتقدمه الموسيقى والجنود والتجار ومشايخ الحرف بطبولهم حتى إذا ثبت رؤية الهلال تطلق الصواريخ والألعاب النارية ، وتطلق المدافع وتضاء المنارات ثم يمر موكب الرؤيا فى أنحاء القاهرة معلنا الصيام .

واشتراك مشايخ الحرف فى هذا الموكب وفى المواكب الكبيرة كالأفراح وغيرها كانت تمثل فيـــه التجارات والصناعات على عربات يتبارى أصحابها . كل فى إظهار تجارته أو صناعته مثل مواكب الزهور . فهى من قبيل الدعاية ، والدعابة وفيها ما يثير الإعجاب ، وفيها ما يثير الضحك ، وكان الشعب على بكرة أبيه يخرج لمشاهدة هذه المواكب ،وإلى ثلث قرن مضى كانت تقام حفلة الرؤيا طبقا لهذا النظام مع التبسط ، ثم تقلص هذا الاحتفال إلى أن أعادت إليه بهجته حكومة الثورة باعتباره من العادات والتقاليد القومية الواجب غرس معالمهـــا وصورها فى نفوس

الأطفال ، لتتعلق بها أذهانهم وتثير فيهم عوامل الشغف بتقاليد بلادهم ، فقد أصدرت الأوامر فى أواخر شعبان سنة ١٣٧٤ إبريل سنة ١٩٥٥ أن يعاد الاحتفال بموكب الرؤية القديمة على نسق يجمع بين سنة القديم والتطور الذى أدركته مصر فى ظل الثورة .

وبتاريخ ٢٢ إبريل سنة ١٩٥٥ نشرت الصحف برنامج الاحتفال كالآتى :

الموكب التقليدى :

ويشمل موكب الرؤية فى القاهرة ، الموكب الرسمى التقليدى الذى سيبدأ من محافظة القاهرة وتشترك فيه عربات أعدتها المصانع والشركات والمحال التجارية تمثل مختلف الحرف والمهن فى مصر .

ويسير موكب الحرف - من مكان التجمع وهو الجمعية الزراعية المصرية - فى منتصف الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم .

ويبدأ الموكب الرسمى من المحافظة فى منتصف الساعة السادسة

فرق الكشافة والموسيقى :

وتشترك فى الموكب الرسمى فرق الكشافة الأهلية ، وفرق

الموسيقى وعربات تمثل نهضة الكليات والمدارس الصناعية والمصانع المصرية والمحال التجارية الكبرى .

انتاج المصانع الحربية :

ولأول مرة تشترك المصانع الحربية فى إبراز إنتاجها وأعمالها فى عربات من تصميمها .

برامج لليلة الرؤية :

وقد أعدت برامج للاحتفال بليلة الرؤية ، منها إطلاق الصواريخ من ميدان التحرير مدة ساعة تبدأ فى الساعة الثامنة والنصف ، كما أعدت اثنتا عشرة فرقـــة موسيقية للعزف فى أهم ميادين العاصمة ، وفى كل الأحياء ليلة الرؤية ، وأيام ذكرى غزوة بدر ، وليلة القدر ، وليلة النصف من شهر رمضان ، وليالى عيد الفطر، وعهد إلى فرق أخرى بالعزف فى عواصم المديريات .

حفلات سمر وتمثيل :

وأعدت وزارتا الشؤون الاجتماعية والتربية والتعليم برنامجا خاصا لحفلات سمر وموسيقى وتمثيل تقام ليلة الرؤية وطوال ليالى شهر رمضان .

وتقام فى ليلة النصف من رمضان حفلة نيلية تشترك فيها زوارق وبواخر مزينة بالأنوار .

البر باليتامى والفقراء :

وأعدت الترتيبات لمشروع أطلق عليه مشروع « بر رمضان» وقد طبعت ووزعت طوابع لجمع المال من فئات مختلفة . وسيقوم بتوزيعها طلاب المدارس والمؤسسات مدة الأسبوعين الأولين من شهر رمضان ، على أن يوزع ماجمع من هذه التبرعات لليتامى والفقراء فى الأسبوعين الأخيرين من شهر الصيام .

ندوات للوعظ والارشاد

وأعدت إدارة الأزهر الشريف برنامجا كبيرا للوعظ والإرشاد طول أيام الشهر فى أنحاء بلاد الجمهورية .

وقد أرسل الأزهر إلى السادة شيوخ المعاهد كتابا دوريا ليسهموا مع علماء المعاهد والوعاظ فى إحياء شهر رمضان على نطاق أوسع من ذى قبل .

مقدمات رمضان

كان لشهر رمضان بهجة وجلال ، فقد كانت تسبقه مقدمات تبشر بمقدمه الذى كان يبعث على البهجة والانشراح بما كان فيه من بذخ ورخاء وخير وفير ، فقد كان نظار الأوقاف منذ شهر شعبان يأخذون فى تنفيذ شروط الواقفين على المساجد من تجديد الحصر ،ونظافة المساجد وطلائها ومايلزم لزيادة الإضاءة فيها وإعداد القناديل اللازمة لإضاءة المنارات طوال الليل حتى السحور .

وكان سوق الشماعين فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع والخامس عشر الميلاديين فى النحاسين يحتفل بمقدم هذا الشهر ، فتعلق على وجهات الحوانيت وعلى جوانبها أنواع الفوانيس المتخذة من الشمع ، وأشكال الشموع مابين كبيرة وصغيرة . ومنها شموع المواكب الكبيرة ، ومنها مايزن عشرة أرطال ، ومنها مايحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار ، يرسم الركوب لصلاة التراويح والخروج ليلا ، فيمر فى شهر رمضان من ذلك مايجل عن الوصف ، وتستمر حوانيته مفتوحه إلى منتصف الليل لكثرة مايشترى ومايكترى من الشموع الموكبية .

ومن تلك التقاليد نشأت فوانيس رمضان ،فقد كنا ومازلنا نرى فى نطاق محدود السمكرية يهتمون منذ شهر شعبان بعمل الفوانيس بأشكال مختلفة ، ويزينون بها وجهات حوانيتهم فيفرح بها الأطفال .

وكانت أنواع الياميش تفرش على أبواب البدالين هى وقمر الدين ويعج بها سوق السكرية داخل باب زويلة ، فيتسابق الشعب إلى الاغتراف منها .وكانت رخيصةالسعر فيتمتع بها الغنى والفقير ، وتقدم للضيوف ، ويوزع منها على أطفال الحارة حينما يطوفون على الدور بفوانيسهم الموقدة محيين أصحابها .

وكانت وكالة قوصون بشارع باب النصر المنشأة حوالى سنة ١٣٤٠م والباقى مدخلها إلى الآن مقر تجار الشام ينزلون فيها ببضائع بلاد الشام من الزيت والصابون والفستق والجوز واللوز والخرنوب . وكانت حركة التجارة فيها مدهشة لكثرة مافيها من أصناف البضائع وحركة البيع والشراء فيها .

ولما تخربت تلك الوكالة ، انتقلت تجارة المكسرات إلى وكالة مطبخ العسل بالتمبكشية بالجمالية ، وكانت مخصصة لبيع أصناف النقل كالجوز واللوز ونحوهما .

وكانت أسهم المقرئين ترتفع حيث يكثر العرض عليهم ، فقد كان أغنياء مصر والأقاليم يتبارون فى تعيين مجيدى القراءة

لتلاوة القرآن الكريم فى دورهم طوال شهر رمضان . وكانت الأحياء تضاء وتتجاوب فيها أصوات القراء .

ومن مشاهير القراء من كان أثيرا لدى بعض الأغنياء يحى عنده ليالى رمضان . وكانت دورهم مفتحة طول الليل تستقبل الوافدين عليها لسماع القرآن مع تقديم القهوة أو القرفة شتاء ، والمرطبات صيفا .

وكان لهـــذا الشهر حرمة مقدسة يصومه الرجال والنساء والأطفال ، وتشجع المدارس الأطفال على الصيام وتؤنب المفطرين . والويل كل الويل للمفطرين من الحكومة أولا فقد كان المحتسب يحاسب المفطر بعد أن يسأله عن سبب إفطاره لاحتمال أن يكون مريضا أو مسافراً ، فإن أثبت شيئاً مما يبيح له الافطار عذره للجهر به . وإن كان مفطرا لغير سبب أدّبه . هذا عدا مايلاقيه من استهزاء الأطفال والمناداة عليه «يافاطر رمضان ياخاسر دينك ... »

كما كانت الحكومة تعاقب المفطرين من موظفيها بغير عذر شرعى .

وفى القرن التاسع عشر الميلادى كانت دوائر الحكومة تستنجز الأعمال الجارى تشغيلها لصرف قيمتها قبل حلول شهر رمضان . وكانت دواوين الحكومة تعطل فيه عدا ديوانى الخارجية

والضبطية . والجمرك ليتفرغ المستخدمون فيه للعبادة بشرط إنجاز جميع مالديهم من مواد متأخرة ، وتصدر الأوامر بذلك منذ منتصف شهر شعبان ، وعلى أن لايعطل من الدواوين إلا من أنجز جميع أعماله

وأصدر محافظ القـــاهرة أمراً فى منتصف شعبان سنة ١٢٧٣هـ ١٨٥٦م بإقامة زينة ومهرجان مرتين فى شهر رمضان شهر الغفران ، واتخاذ اللازم لإحضار لوازم الزينة والألعاب النارية التى يلزم استعمالها لذلك .

وكانت المطاعم تغلق أبوابها نهارا ، ومنها مايغلق طوال الشهر . وفيه تستعيد تجديد نظافتها ، ومن القهاوى مايغلق نهارا استعدادا للسهر طوال الليل حتى الفجر .



رمضان شهر الخيرات

لقد أجاد من وصفه بأنه شهر الصيام والقيام والإطعام والتسبيح والتراويح والمروءة والفتوّة .

واشتملت حجج أوقاف المساجد والمدارس على الكثير من أنواع البر والصدقات فى هذا الشهر ، من زيادة مرتبات خدمة المساجد وأئمتها ، وتوزيع السكر عليهم وكسوتهم مع كسوة فقيه وعريف الكتاب الملحق بهما ، وكسوة التلاميذ اليتامى وغيرهم .

وفى المدارس ، تضاعف كميات الأكل والحلوى للطلبة والأساتذة . وخصصت الأموال الكثيرة لشراء قناطير اللحم الضأن والخبز والأرز والعسل والحبوب لطبخها وتوزيعها على الفقراء .

وفى بعض الخوانق والربط اشترط واقفها توزيع الحلوى على قاطنيها كل ليلة جمعة من رمضان هذا عدا زيادة المخصصات فى رمضان .

وفى ظلال الدولة العباسية كانت دور المضيف ببغداد من الجانبين عشرين دارا ، كل دار مجهزة فى كل ليلة من ليالى رمضان بخمسمائة قدح ، وألف رطل من المطبخ الخاص والخبز النقى والحلوى وغير ذلك، يستمر طوال كل رمضان .

وكان الصاحب بن عباد لا يدخل عليه فى شهر رمضان بعد العصر أحد كائنا من كان فيخرج من داره، إلا بعد الإفطار عنده .

وكانت داره لا تخلو فى كل ليلة من ليالى رمضان من ألف نفس مفطرة فيها ، وكانت صلاته وصدقاته وقرباته فى هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يصرف منها فى جميع شهور السنة .

ويؤثر عن القائد البحرى لؤلؤ الحاجب، أنه كان سخيا ، وأنه كان يوزع كل يوم اثنى عشر ألف رغيف مع قدور الطعام ، فإذا حلَّ شهر رمضان ضاعف ذلك وأشرف بنفسه على توزيع صدقاته من الظهر فى كل يوم إلى نحو صلاة العشاء الآخرة وكان يضع ثلاثة مراكب طول كل مركب أحد عشر ذراعا مملوءة طعاما ويدخل الفقراء أفواجا وهو قائم مشدود الوسط كأنه راعى غنم وفى يده مغرفة . وهو يصلح صفوف الفقراء ويقرب إليهم الطعام، ويبدأ بالرجال ثم بالنساء ثم بالصبيان . وكانوا لا يتزاحمون لعلمهم أن الخير يعمهم ، فإذا فرغ من إطعام الفقراء بسط سماطا فخما للأغنياء .

ولؤلؤ هذا قاهر البرنس أرناط صاحب الكرك ، حينما فكر هو وفرنج الشويك على المسير إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبشوه وينقلوا جسده الشريف إلى بلادهم ولا يمكنوا المسلمين

من زيارته إلا بجعل ، فإنه قام من مصر لمطاردتهم سنة ٥٧٨ هـ ١١٨٢ م بأمر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأدركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة إلا يوم ، فقاتلهم قتالا عنيفا وهزمهم وأسرهم ، وقيدهم وساقهم إلى القاهرة ، وكان لدخولهم يوم مشهور .

وكان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى يرتب فى أول شهر رمضان بمصر والقاهرة مطابخ لأنواع الأطعمة لتوزيعها على الفقراء والمساكين .

وفى دولتى المماليك كان يوزع على الفقهاء والعلماء توسعة فى شهر رمضان لأولادهم .

كما كان هناك تقليد طريف وهو إعداد أحمال من السكر والمكسرات ولحم الضأن منذ أول رمضان لتوزيعها على الفقراء فى شهر رمضان تحت إشراف المحتسب وناظر الدولة .

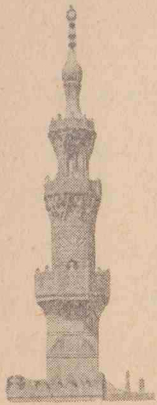
أما الحديث عن الكرم فى هذا الشهر فهو حديث مستفيض ، فالدور مفتوحة لاستقبال الوافدين عليها للإفطار ولا فرق بين غنى وفقير .

وكان من عادة أغنياء مصر وجود مطبخين فى كل بيت من بيوت الأغنياء ، أحدهما للرجال والثانى للحريم ، فإذا حان وقت الإفطار مدت الموائد وجعلت مباحة للناس ، ولهم عادات وصدقات فى المواسم وهكذا فى الريف أيضا إذا وقفت عقارات وأطيان للصرف على المضايف .

وما أجمل : المشاهد والمساجد الكبيرة فى أنحاء القاهرة . الإمام الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والإمام الشافعى وغيرهم يقصدها الصائمون لعبادة الله وقراءة القرآن والاستماع إلى دروس العلم وسماع القرآن من مشاهير القراء .

فى تلك المعابد الطاهرة نشعر بالروحانية والجلال ، ويتجلى صفاء النفوس فى البر والتقوى والتقرب إلى الله .

فإذا ما حان وقت الغروب شعرت بجلال رمضان وسطوته وقت الإفطار تكاد الشوارع على ازدحامها أن تقفر وتشعر أنك فى رمضان حقا .



ليلة القدر

« بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ماليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هى حتى مطلع الفجر » .

يجزم فضيلة الأستاذ الشيخ حسن مأمون بعد أن استشهد بتلك السورة ، وبالآيات الكريمة « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » . « حم والكتاب المبين إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منزلين » . بأنه لا يراد من إنزال القرآن فى هذه الليلة إنزاله مرة واحدة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال إن المفسرين اختلفوا فى المراد منه : فذهب بعضهم إلى أن القرآن نزل مرة واحدة إلى السماء الدنيا ولكنه نزل بعد ذلك على الرسول منجماً بمكة والمدينة ، وذهب بعضهم ، إلى أن المراد أن الله بدأ إنزاله على الرسول فى هذه الليلة ، وهو ما يرجحه على غيره من التفسيرات . ويكون المعنى أن الله بدأ إنزال القرآن على الرسول فى هذه الليلة .

ولقد عظَّم الله شأن الليلة التى ابتــدأ فيها نزول القرآن ووصفها بأنها ليلة مباركة ؛ لأن ابتداء نزول القرآن هو اللحظة الحاسمة الفارقة بين ظلام الشرك ونور التوحيد والهداية .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر — اطلبوها فى العشر الأواخر من رمضان — وأكثر العلماء على أنها فى السابعة والعشرين من شهر رمضان .

ومن نظم الشيخ محي الدين بن العربى فى معرفة ليلة القدر :

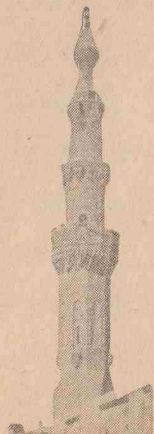
وإنا جميعا إن نصم يوم جمعة
فنى تاسع العشرين خذ ليلة القدر
وإن كان يوم السبت أول صومنا
فحادى وعشرين اعتمده بلا عذر
وإن هلَّ يوم الصوم فى أحد فخذ
ففى سابع العشرين ما رمت فاستقر
وإن هل فى الإثنين فاعلم بأنه
يوافيك ليل الوصل فى تاسع العشر
ويوم الثلاثا إن بدا الشهر فاعتمد
على خامس العشرين تحظ بها فادر
وفى الأربعا إن هل يا من يرومها
فدونك فاطلب وصلها سابع العشر
ويوم خميس إن بدا الشهر فاجتهد
توافيك بعد العشر فى ليلة الوتر

ومن رسالة القاضى الفاضل استهلالها :

الحمد لله الذى رفع قدر شهر الصيام بليلة قدره ، وختم حاصل ثواب الصوم بمسك يوم فطره .

وفى دولة المماليك البحرية كان يقرأ البخارى طوال الشهر فى الجامع الأزهر ويختم ليلة القدر فى حفل كبير يدعون فيه لأولى الأمر بالتوفيق والسداد ، ويحضره القضاة الأربعة ثم توزع الخلع والهبات على العلماء والفقهاء ، وفى نهاية دولة المماليك الجراكسة كانت تقام حفلة ختام قراءة البخارى فى خيمة كبيرة بالحوش السلطانى بالقلعة رسميا فى مصر والإسكندرية .

وإلى الآن يحتفى بتلك الليلة رسميا فى مصر والإسكندرية .



التسحير

هو إيقاظ النيام كى يتسحروا ويشربوا قبل فوات الوقت ، ويؤثر عن عنبسة بن إسحاق والى مصر فى سنة ٢٣٨ هـ ٨٥٢ م أنه كان يذهب إلى جامع عمرو ماشيا من مدينة العسكر . وكان ينادى فى طريقه بالسحور .

وكان الأديب ابن نقطة المزكلش المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ١٢٠٠ م يسحر الناس منادياً . « نياما ... قوّما قوّما للسحور »

وكان المؤذنون يتجاوبون على المنارات بتذكير النيام للسحور فى فترات متفاوتة من الليل بأشعار لطيفة وبأهازيج عامية نذكر منها :

الدور الأول من التذكير :

أيها النـــوام قوموا للفلاح
واذكروا الله الذى أجرى الرياح
إن جيش الليل قد ولّى وراح
وتدانى عســكر الصبح ولاح
اشربوا عَجْلَى فقد جاء الصباح
معشر الصوام يا بشراكمو ربكم بالصوم قد هناكمو

وجوار البيت قد أعطاكمو فافعلوا أفعال أرباب الصلاح
اشربوا عجلى فقد جاء الصباح

تسحروا رضى الله عنكم ، تسحروا غفر الله لكم ، تسحروا فإن فى السحور بركة ، تسحروا قال الله تعالى : « الصوم لى وأنا أجزى به » .

وفى التذكير الثانى يقولون :

كلوا رضى الله عنكم ، كلوا غفر الله لكم ، كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً . كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور .

وفى التذكير بالدور الثالث يرددون :

يا مدبر الليالى والأيام . يا خالق النور والظلام ياملجأ الأنام. يا ذا الطول والإنعام . رحم الله عبداً ذكر الله . ورحم الله عبداً شكر الله . رحم الله عبداً قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وفى التذكير الرابع يرددون :

اشربوا وعجلوا فقد قرب الصباح — ويكررها — الدعاء فى الأسحار مستجاب ، اذكروا الله فى القعود وفى القيام . وارغبوا إلى الله تعالى بالدعاء والثناء . اشربوا وعجلوا فقد قرب الصباح .

وفى الوداع :

يا صائمى رمضان فوزوا بالمنى   وتحققوا نيل السعادة والغنى
وثقوا بوعد الله إذ فيه الهنا   أو ليس هذا القول قول إلهنا

الصوم لى وأنا الذى أجزى به

من صام نال الفوز من رب العلا
وبوجهه أضحى عليه مقبلا
يا من يروم توسلا وتوصلا
صم رغبة فى قول رب قد علا

الصوم لى وأنا الذى أجزى به

وأنكر ابن الحاج[1] العالم المتزمت كثيراً من تلك التقاليد. وفى نقده أعطانا فكرة عما كان عليه التسحير فى مصر وفى غيرها فى القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى فقال:

« إن المسلمين عرفوا التسحير منذ صدر الإسلام إذ أنهم يعرفون جواز الأكل بأذان بلال ومنعه بأذان ابن مكتوم . ومن رأيه السير على تلك السنة أى آذانان بشرط تمييز صوت الأول عن الثانى ، فقد جرت العادة أن المساجد الجامعة يكون فيها أكثر من مؤذن .

---

(١) ابن الحاج الفاسى محمد بن محمد أبو عبد الله العبدرى الفاسى المصرى كان عالماً فاضلا توفى بالقاهرة سنة ٧٣٧ هـ ١٣٣٧ م .

ثم ذكر أن التسحير فى الديار المصرية — يقول المؤذن تسحروا . كلوا واشربوا . وما أشبه ذلك ويقرأون الآية الشريفة : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ويكررونها مراراً . ثم ينبهونهم إلى الشرب قبل الإمساك بتلاوة الآية الشريفة : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجُها كافوراً . عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً . يُوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ... إلى قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا » ثم ينشدون القصائد .

ويسحرون أيضاً بالطبلة يطوف بها المسحر على البيوت ، ويضرب عليها .

أما أهل الإسكندرية وأهل اليمن وبعض أهل المغرب فيسحرون بدق الأبواب على أصحاب البيوت وينادون عليهم : قوموا كلوا ، وأما أهل الشام فإنهم يسحرون بعزف الآلات الموسيقية والغناء .

وأما أهل المغرب فإنهم يفعلون قريباً من فعل أهل الشام فيضربون بالنفير على المنارات ، ويكررون ذلك سبع مرات ،

ثم بعده يضربون بالأبواق سبعاً أو خمساً . فإذا قطعوا حرم الأكل إذ ذاك عندهم .

وأنكر أيضا تعليق الفوانيس التي جعلوها علماً على جواز الأكل والشرب ما دامت معلقة موقودة على المنارات ، وعلى تحريم ذلك إذا أنزلوها ، وذلك لأن المنارات كانت تعلق عليها الفوانيس مضاءة حتى السحور . ثم تطفأ إيذاناً بالإمساك .



فانوس السحور

كان فانوس السحور موضع مساجلة بين الأدباء والشعراء يتبارون فى وصفه بخيال رائق .

حدثنا على بن ظافر الأديب المصرى المتوفى سنة ٦١٣هـ ١٢١٦م قال : اجتمعنا ليلة فى رمضان لجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث (١) وقد أوقد فانوس السحور ، فاقترح بعض الحاضرين على الأديب أبى الحجاج يوسف بن على المعروف بالنعجة أن يصنع فيه ، وإنما طلب بذلك تعجيزه فأنشد :

ونجم من الفانوس يشرق ضـــوؤه
ولـكنه دون الـكواكب لا يسرى

ولم أر نجما قط قبـــل طلوعه
إذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من بين الجماعة وقلت ، هذا تعجب لا يصح لأنى والحاضرين قد رأينا نجوما لا تدخل تحت الحصر ، إذا غابت

---

(١) كان المجلس فى جامع عمرو بالفسطاط .

تنهى الصائمين عن الفطر ، وهى نجوم الصباح ، فأسرف الجماعة في تقريعه فأنشد :

هــذا لواءُ ســحور يستضاء به
وعسكر الشهب فى الظلماء جرار
والصائمون جميعاً يهتدون به
كأنه علم فى رأســه نار

فلما أصبحنا، سمع من كان غائباً من أصحابنا فى ليلتنا ماجرى ، فصنع الرشيد أبو عبدالله محمد بن متانو وأنشد فيه :

أحبب بفانوس غدا صاعدا
وضــوؤه دان من العين
يقضى بصوم وبفطر معا
فقــد حوى وصف الهلالين

وأنشد الفقيه أبو محمد القلعى :

وكوكب من ضرام الزند مطلعه
تسرى النجـوم ولا يسرى إذا رقبا
يراقب الصبح خوفا أن يفــاجئه
فإن بدا طالعا فى أفقــه غربا

كأنه عاشق وافى على شرف
يرعى الحبيب فإن لاح الرقيب خبا

وأنشد ابن ظافر:

ألست ترى شخص المنار وعوده
عليه لفانوس السحور لهيب
كحامل منظوم الأنابيب أسمر
عليه سنان بالدماء خضيب
ترى بين زهر الزهر منه شقيقة
لها العود غصن والمنار كثيب
وتبدو كخد أحمر والدجى لمى
بدا فيه ثغر للنجوم شنيب
كأن لزنجى الدجى من لهيبه
ومن خفقه قلبا عراه وجيب
تراه يراعى الصبح ليلا فإن دنا
طلوع صباح حان منه غروب
فهل كان يرعاها لعشق ففرّ إذ
درى أن رومى الصباح قريب

وقال فى اختصار هذا المعنى :

انظر إلى المنار والفانوس فيه يرفع
كحامل رمحا سنا نه خضيب يلمع

وأنشد أيضاً :

وليلة صوم قد سهرت بجنحها
على أنها من طولها تعدل الدهرا
حكى الليل فيها سقف ساج مسمرا
من الشهب قد أضحت مساميره تبرا
وقام المنار المشرق اللون حاملا
لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا
كما قام رومى بكأس مدامة
وحيا بها زنجية وشحت درا

وأنشد شهاب الدين يعقوب :

رأيت المنار وجنح الظلام	من الجو يسدل أستاره
وحلّق فى الجو فانوسه	فذهّب بالنور أقطاره
وخلت المنار وفانوسه	فتى قام يصرف ديناره

وأنشد القاضى أبو الحسن بن النبيه :

حبذا فى الصيام مئذنة الجا
مع والليل مسبل أذياله
خلتها والفانوس إذ رفعته
صائداً واقفاً لصيد الغزاله

وأنشد ابن نفطويه :

نصبوا لواء للسحور وأوقدوا
فى رأسه ناراً لمن يترصد
فكأنه سبّابة قد قُمعت
ذهباً وقامت فى الدجى تتشهد

وأنشد الأديب أبو العز مظفر الأعمى بعد أن سمع جميع المقاطيع :

أرى علما للناس فى الصوم ينصب
على جامع ابن العاص أعلاه كوكب
وما هو فى الظلماء إلا كأنه
على رمح زنجى سنان مذهب
ومن عجب أن الثريا سماؤها

مع الليل تلهى كل من يترقب
فطوراً تحييه بباقة نرجس
وطوراً يحييها بكأس تلهب
وما الليل إلا قانص لغزالة
بفانوس نار نحوها يتطلب
ولم أر صياداً على البعد قبله
إذا قربت منه الغزالة يهرب



المسحراتى

وكان وإلى الآن يدق المسحراتى على طبلته منشدا مواعظا ومحييا لسكان الدار وراويا لهم الأقاصيص ، فمن أقواله :

يا غفلان وحد ربك وبالتقى عمـــر قلبك
ما يوم تقلق على رزقك دا ربنا عالم بالحال
يارب قدرنا على الصوم واحفظ إيماننا بين القوم
وارزقنا يارب باللحم المفروم أحسن يارب ماليش أسنان

ووضع الزجال المشهور الشيخ محمد النجار حمل زجل للمسحر

المطلع

ثبت هلال رمضان وقالوا صيام
لرؤيتـه والشـــك زال باليقين
أحياكم المـــولى إلى كل عام
وكل عام وأنتم بخـــير طيبين

دور

رمضان هـــو الشهر الذى فضله
ربه على ســـائر شهور السنه

صحة لمن صامه وفيه الثواب
والأجر للمؤمن والمؤمنه
فيه أنزل القرآن على المصطفى
رحمة وآيات للهدى بينه
صوموا وصلوا فرضكم والقيام
واستغنموا به الأجر يامسلمين
أحياكم المولى إلى كل عام

دور

مفروض على بالغ وعاقل مقيم
مسلم ومالك فى الصيام صحته
صوموه وصلوا الخمس لا تتركوا
فرض الإله مرة ولا سنته
والوتر أدوا واقنتوا محافظين
على الصلاة الوسطى تروا جنته
يشفع لكم المصطفى فى الزحام
والموقف الهايل على المذنبين
أحياكم المولى

دور

أنـا المسحر جيت أطبل لـكم
حافظ أساميكم صغير مع كبير
فى كل ليـــلة لى على كل بيت
اللى من الذمة خرج للفقـــير
ولى عدية عندكم كل عيـــد
الـكعك وكفوف الشريك والفطير
آجى أصحيـــكم وأنتم نيـــام
وقت السحر عن كل خـير غافلين
أحياكم المولى
أنـا المسحر جيت معى طبلتى
وأحكى حكاية الفـار وأقول قصته
وأحكى حكاية الفـار واقول ماجرى
بينه وبين القط يوم وقعتـــه
الفـار جعل بيت الفقير مسكنه
وكل يـــوم يسطى على مشنته
وحرمه رغيف يخبزه ابن الحرام
وأكل الحرام خلاه ملظلظ سمين
وظل يقص حكاية القط مع الفار إلى أن وقع الفار بين مخالبه .

ثم ختم الزجل بقوله

أدى جـــزاء من غرته شهوته
حتى هوت فى به مهاوى الهـــوان
وادى جزاء من راع بنفسه إلى
موته وخد له من عـــدوه الأمان
وادى جزاء من كان يصدق جميع
ما يسمعه ويميل لمدح اللسان
وأختم حكايتى بالصـــلاة والسلام
على ابن رامه خاتم المرسلين
أحياكم المولى إلى كل عام وكل عام وأنتم بخير طيبين

وله مواويل سحر بها المسحراتية .

إنوى صيامك وبيت نيتك بالليل
وصم نهارك وخلى لك إلى الخير ميل
واعرف يقينك وشمر ساعدك والذيل
لحفظ دينك واصح تـكون « الأفرنـكة »
وتقول على الصوم يهدّ العافية والحيل
جوعوا تصحو حديث عن سيد السادات
له العيان بينه والتجربة إثبات

دا شهر فى العام ما هوش فى جميع الأوقات
والإش يوم الشتا فجره مع المغرب
ورؤية الأكل بعد الجوع لها فرحات
يا خاسر الدين يافاطر نهار رمضان
ماهوش كدا المسلمين ماهوش كدا الإيمان
تِـدِبّ بطنك وتحلف قال كمان إيمـان
فاطر وكداب على الله فى نفس واحد
فى أمر تقدر عليه مع ضعفها النسوان
قلل من الفـول يامخـلول والطرشى
لحسن تغشلق وتبقى من العشا تحشى
واصحى قوى تـكتر ثوى من أكلك المحشى
وتخمّـه يامرِمّ دى حلوه ودى وحشه
تعيا ببطنك وعند الصوم ما تقدرشى
الصوم هو الصون عن فعل الذى فيه لوم
عشان كدا كان من جملة عبادته النوم
وللسفر والعيا اللى لا تطيق فيه صوم
يجوز لك الفطور فيه والصوم خير لك
والفطر فيه القضا واليوم عليك فيه يوم

يااللى على الفرض يوم العرض مش سائل
بكره عليه تنسئل والرب لك سائل
إحسب حساب وقفتك وانت ذليل سائل
وخجلتك فى القيامة بين أيادى الله
من العرق فى غرق والدمع لك سائل
إن كنت تسمع نصيحتى والنصيحة تفيد
قلل من الأكل ما أمكن بدون ترديد
وأكلك الكحك بعد الصوم نهار العيد
يجيب عيا للكبد وتخسر المعدة
وكل ما يزيد دسم يكتر ضرر ويزيد

فإذا ما قارب الشهر الفراغ وحّش الشهر بقوله لا أوحش الله منك يا شهر الصيام، لا أوحش الله منك يا شهر القيام، لا أوحش الله منك يا شهر الولائم، لا أوحش الله منك يا شهر العزائم، لا أوحش الله منك يا شهر الكرم والجود.

ولم يكن توحيش رمضان قاصرا على المسحراتى بل سبقه فيه المؤذنون والقراء وأنكر جمال الدين القاسمى التوحيش وعاب على أحد العلماء وهو يوحش رمضان، وقال يجب أن يتوجه بالموعظة ويقول:

عباد الله أشكروا نعمة الله على ما يسر لكم من صيام رمضان ، وأعطاكم من نعمة الإيمان ، فقد أمركم بذلك من بنوره يهتدى المهتدون فقال تعالى « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » ودّعوا شهر رمضان بكثرة الاستغفار من التقصير ، والعزم على دوام الجد والتشمير ، فقد كان للمتقين روضة وأنسا . وللغافلين قيدا وحبسا ، كان نزهة للأبرار ، وقيدا للأشرار ، فطوبى لمن حل فيه عقدة الإصرار ، وحل فى روضة التقوى فى منزل الافتقار .

موائد رمضان

الكنافة والقطايف

لقد خص هذا الشهر بالمغالاة فى إعداد موائده والإفراط فى المرطبات والحلوى وعلى رأسها القطايف والكنافة ، وكلاهما مما اختصت به مصر من أقدم العصور ، ويقال أن الكنافة صنعت خصيصاً لسليمان بن عبد الملك كما قيل إنها عملت لمعاوية وكلاهما كان يتسحر منها .

وكانت الكنافة والقطايف موضع مساجلات بين الشعراء فمن ذلك قول علم الرؤساء أبو القاسم عبد الرحمن بن هبة الله المصرى فى القطائف

وافى الصيام فوافتنا قطائفهُ

كما تنسّمت الكُثْبان من كَثَبِ

وله أيضاً فى القطائف المقلوة :

أهلا بشهر غدا فيه لنا خَلَفٌ

أكلَ القطائف عن شرب ابنة العنب

من كل ملفوفة بيضٍ إلى أخَـر (١)
حمْـرٍ من القَـلْىِ تشفى (٢) جنة السَّـغبِ

ولابن يحيى بن أبى منصور المنجم :

قطائفٌ قـد حشيت باللوز
والسكر الماذىّ (٣) حشو الموزِ
تسبح فى آذِىّ (٤) دُهن الجوز
سررت لما وقعت فى حَوْزى
سرور عباسٍ بقرب فوز (٥)

ولابن نباتة المصرى :

وقطايف رقت جسوما مثل ما
غلظت قلوبا فهى لى أحساب
تحلو فما تخلو ويشهد قطرها ال
فياض أن ندى علىَّ سحاب

---

(١) الشطر فى المغرب .. « ماين محشوة صفت إلى آخر » .
(٢) جنة السغب : شدة الجوع .
(٣) الماذى : العسل. (٤) الآذى : الموج .
(٥) فوز : هى معشوقة العباس بن الأحنف .

ولابن الوردى :

بعثت قطائفا رَوِّى حشاها قطرُها الغامر
فسكرها أبو ذر ومرسل صحنها جابر

ولابن نباته المصرى :

أقول وقد جاء الغلام بصحنه
عقيب طعام الفطر يا غاية المنى
بعيشك قل لى جاء صحن قطائف
وبح باسم من أهوى ودعنى من الكنا(١)

وللصلاح الصفدى :

أتانى صحن من قطائفك التى
غدت وهى روض قد تنبت بالقطر
ولاغرو إن صدقت حلو حديثها
وسكرها يرويه لى عن أبى ذر

ولبرهان الدين القيراطى وكتب بها إلى القاضى نور الدين ابن حجر والد القاضى شهاب الدين(٢) .

مولاى نور الدين ضيفك لم يزل
يروى مكارمك الصحيحة عن عطا

---

(١) تورية يشير بها إلى معنيين : الكنى جمع كنية والكنا هنا بمعنى الكنافة
(٢) هو أحمد بن حجر العسقلانى .

صدقت قطائفك الكبار حلاوة
بفمي وليس بمنكر صدق القطا

ولابن المنشد :

وقطائف مثل البدور أتت لنا من غير وعد
فحسبتها لما بدت فى صحنها أقراص شهد

وللسراج الوراق :

قطائفك التى رقت جسوما
لماضغها كما كثفت قلوبا
كغيم رق لكن فيه قطر
غدا المرعى الجديب به خصيبا

ولابن نباتة :

رعى الله نعماك التى من أقلّها
قطائف من قطر النبات لها قطر
أمد لها كفى فأهتز فرحة
كما انتفض العصفور بلله القطر

وللمعلم المرصص :

وحقك ما أوليتنى من قطائف
ألذ وأحلى من وصال القطائف

وقد ضمنت مثل العتاب حلاوة
ألم ترها ملفوفة كالصحائف

وللشاعر المصرى الجمال أبو الحسن الجزار من قصيدة إلى جمال الدين بن يغمور .

ما رأت عينى الكنافة إلا
عند بياعها على الدكان

وقوله لشرف الدين الفائزى :

أيا شرفَ الدين الذى فيضُ جوده
براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة إننى
لأرجو لها من سُحب راحتك القَطْرا
فعجِّل به جوداً فمالى حاجةٌ
سواه نباتا يثمرُ الحمدَ والشكرا

وقوله :

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر
وجاد عليها سكر دائم الدر
وتبّاً لأوقات المخلل إنها
تمرّ بلا نفع وتحسب من عمرى

أهيم غراما كلما ذُكر الحمى
وليس الحمى إلا القُطَارة بالسّحْر

وله :

تالله ما لثم المراشف كلا ولا ضمُّ المعاطف
بألذّ وقعاً فى حشا ىَ من الكنافة والقطائف

ولابن نباتة المصرى وقد أهدى كنافة مخنقة :

يا سيدى جاءتك فى صدرها كأنها روحى فى صدرى
كنافةً بالحلو موعودة كما تقول العسل المصرى
قد خنقتنى عبرتى كاسمها وبادرت من خلفها تجرى
ما خرج الفستق من قشره فيها وقد أخرجت من قشرى
ونشرها من طيبها لم يفح فاعجب لسوء الطى والنشر
فهاك حلوا قد تكفلته ولا تسل عنى وعن صبرى
كأنها الدُّمية لكنها لا نفحة العرف ولا القطر
لا زلت فى الدهر كما تبتغى وفوق ما تبغى من الدهر

وقال زين القضاة السكندرى :

لله در قطائف محشـــوة
من فستق دعت النواظر واليدا

شبهتها لما بدت في صحنها
بحقاق عاج قد حشين زَبَرْجدا

وقال أبو على الحسين بن محمد الترمسى :

وقطايف محشـــوة بلطائف
طافت بنـا أكرم بها من طايف
شبهتها نُـضدت على أطباقها
بوصائف قامت بجنب وصايف

وقال سيف الدين بن قزل المنشد :

وقطايف مثـل البـدو ر أتت لنا من غير وعد
قد سقّـيت قطر النبـا ت وطيبت بالماءورد
فحسبتهـا لمـا بدت فى صحنها أقراص شهد

وقال سعد الدين بن عربى :

وقطـايف مقرونة بكـنافة
من فوقهن السـكر المذرور
هاتيك تطربنى بنظم رائق
ويروقنى من هـــذه المنثور

وللعلامة جلال الدين السيوطى رسالة ظريفة عنوانها منهل اللطايف فى الكـنافة والقطايف .

وهناك أنواع أخرى من الحلوى اهتم المصريون بأكلها فى شهر رمضان . تصادف أن ارتفعت أثمانها فى رمضان سنة ٩١٧ هـ فرفعت شكوى منظومة إلى المحتسب حوت أنواعا من الحلوى منها :

لقد جاد بالبركات فضل زماننا
بأنواع حلوى نشرها يتضوّعُ
حكتها شفاه الغانيات حلاوة
ألم ترنى من طعمها لست أشبع
فلا عيب فيها غير أن محبّها
يبدّد فيها ماله ويضيّع
فكم ست حسن مع أصابع زينب
بها كل ما تهوى النفوس مجمّع
وكم كعكة تحكى أساور فضة
وكم عقدة حلّت بها البسط أجمع
وكم قد حلا فى مصر من قاهرية
كذاك المشبّكْ ، وصله ليس يُقطع

وفى ثوبه المنفوش جاء برونق
فيا حبذا أنواره حين تسطع
وقد صرت فى وصف القطايف هائما
ترانى لأبواب الكنافة أقرع
فيا قاضيا بالله محتسبا عسى
ترخص لنا الحلوى نطيب ونرتع



رمضان
في القرن التاسع عشر بمصر

إن عوائد وتقاليد شهر رمضان لم تتغير فى حقبة من حقبات التاريخ كما يظهر من الاستعراض الذى ذكرناه فى مختلف العصور .

والمستشرق الإنجليزى لين أقام بمصر فى القرن التاسع عشر ١٨٢٥ - ١٣٣٣ فاستهوته بعاداتها وتقاليدها ، ومنها شهر رمضان الذى يصفه كما رآه وعاش فى بحبوحته .

« تسمى الليلة التى يترقب فيها هلال رمضان ليلة الرؤية ، فيذهب نفر من الناس عصر اليوم السابق ، أو قبل ذلك ليقضوا بضع ليال فى الصحراء ، حيث يصفو الجو خاصة لرؤية الهلال الجديد ، إذ أن الصيام يبدأ فى اليوم التالى لرؤية الهلال ، فإذا تعذرت رؤيته بسبب السحب ، بدأ الصوم عندما يتم شعبان ثلاثين يوما ، وفى مساء ذلك اليوم يسير موكب المحتسب ومشايخ الحرف المتعددة الطحانين والخبازين والجزارين والبدالين وباعة الفاكهة ومعهم بعض أعضاء من هذه الحرف ، وفرق من الموسيقين ، وفرق من الجنود من القلعة إلى مجلس القاضى ،

وينتظرون شهود الرؤية ، وتزدحم الشوارع التى يمر منها هذا الموكب بالمشاهدين على الجانبين ، وجرت العادة فى هذا الموكب أن تقاد خيول مسرجة بأجمل السرج .

غير أن الموكب المدنى والدينى استبدل أكثره بعرض عسكرى فيتكون موكب ليلة الرؤية الآن من مشاة النظام خاصة ويتقدم حاملو المشاعل كل فرقة من الجنود ويتبعونها لينيروا لهم الطريق ، ويتلوهم شيخ حرفة وآخرون من أتباعه والشعب حولهم مهللا مكبرا ، ويفصل كل فرقتين أو ثلاث عدة دقائق ، ويختم المحتسب وتابعوه الموكب .

وعندما يصل خبر رؤية الهلال يقسم الجنود الآخرون أنفسهم إلى عدة فرق تعود إحداها إلى القلعة (مقر الحكم) ويجول الآخرون فى الأحياء المختلفة صائحين يا أمة خير الأنام صيام صيام . فإذا لم يظهر الهلال ينادون غدا من شهر شعبان ـ فطار ـ فطار ـ ويقضى الناس على العموم شطرا كبيرا من الليل عند ما يعلن بدء الصيام فى الغد فى الأكل والشرب والتدخين ويبتهجون وتضاء المساجد طوال الشهر ، وتعلق المصابيح عند مداخل المساجد وفوق شرفات المآذن .

لم يعد المرء يشاهد فى رمضان المارة يمسكون بشبكهم فى الشوارع كما كان يشاهد فى أوقات أخرى ، فيراهم بدلا من ذلك إلى ماقبل الغروب ، يحملون عصا أو مسبحة ويجاملهم المسيحيون فى عدم التدخين علانية ، وتبدو الشوارع كئيبة فى الصباح ، إذ أن كثيرا من الحوانيت يغلق ، غير أنها تفتح جميعا فى العصر وتزدحم كالمعتاد ، وبعض الصائمين ينحرف مزاجه قليلا فى النهار . وفى الليل بعد الإفطار يمشون ويمرحون . وعادة كبار الأتراك بالقاهرة وكثيرين غيرهم أن يقصدوا مسجد الإمام الحسين عصر كل يوم من رمضان للصلاة ، وفى هذا الوقت يعرض بعض التجار الأتراك الذين يسمون تحفجية على الناس فى ساحة الميضاة مجموعة من البضائع ذات ذوق وترف يلائمان رغبات مواطنيهم وغيرهم

ومن الشائع فى هذا الشهر أن تشاهد تجارا فى حوانيتهم يتلون القرآن أو الأدعية أو يوزعون الخبز على الفقراء .

وفى الليل تزدحم المقاهى بأخلاط الناس لتناول القهوة والتدخين فى الشبك . وفى رمضان على العموم يوضع كرسى عليه صينية الطعام قبيل الغروب فى غرفة الاستقبال بمنازل الطبقتين

العليا والوسطى ويوضع عليها صحاف عديدة تحوى أصنافا مختلفة من المرطبات والمكسرات والبلح والتين ويجلسون فى انتظار الوافدين عليهم على غير انتظار وتجهز الشبكات أيضاً . فقد جرت العادة أن تزود المنازل التى يكثر زوارها بشبكات للتدخين ، فإذا ما أذن للمغرب يشرب رب الدار ومن معه كوبا من الشربات . ثم يقيمون الصلاة عادة ويتناولون شيئاً من المكسرات المقشرة ومن البلح والتين ويدخنون الشبك . وبعد هذا الأكل الخفيف يجلسون لتناول طعام وافر من اللحم وغيره .

وبعد الفراغ من الطعام وشرب القهوة وتدخين الشبك يقيمون صلاة العشاء ويؤدون صلاة التراويح وقل من يقيم هذه الصلاة إلا فى المسجد .

وتقفل المساجد الصغيرة فى رمضان بعد صلاة التراويح . وتظل الجوامع الكبيرة مفتوحة إلى السحور أو إلى الإمساك ويضاء داخلها ومداخلها مادامت مفتوحة . وتضاء المآذن طول الليل ويختلف مدى الوقت الذى يصومون فيه مابين ١٢ ساعة إلى ١٤ ساعة تبعا لطول الليل أو قصره .

ويتناول المسلمون على العموم فطورهم بالمنزل فى شهر رمضان وبعد ذلك يمضون أحيانا ساعة أو ساعتين فى منزل أحد الأصدقاء. ويقصد الكثير منهم وخاصة متوسطى الحال إلى المقاهى مساء للاستماع إلى أحد القاصين الذين يسلون القوم فى عدة مقاه كل ليلة من هذا الشهر . ويشاهد فى الشطر الأكبر من الليل كثيرا من المارة فى الشوارع . وتظل دكاكين المشروبات والمأكولات مفتوحة وهكذا ينقلب الليل نهارا وبخاصة عند الأغنياء الذين ينام أكثرهم معظم النهار . وجرت عادة بعض علماء القاهرة أن يقيموا ذكرا فى منازلهم كل ليلة من رمضان .

فى كل ليلة من ليالى رمضان يجول المسحرون ليقولوا أولا كلمة ثناء أمام كل منزل يستطيع صاحبه أن يكافئهم . وفى ساعة متأخرة يجولون ليعلنوا وقت السحور. ولكل «خط» أو قسم صغير فى القاهرة مسحر . ويبدأ المسحر جولاته بعد الغروب بساعتين تقريبا أى بعد صلاة العشاء ممسكا بشماله طبلا صغيرا يسمى بازا أو طبلة المسحر وبيمينه عصا ويقف أمام منزل كل مسلم غير فقير . وفى كل مرة يضرب طبلته ثلاث مرات ثم ينشد قائلا :

« محمد الهادى رسول الله » ثم يعود إلى ضرب طبلته ويواصل كلامه (واسعد لياليك يافلان (مسميا صاحب المنزل) ثم أولاده دون النساء وللبنات يقول أسعد الليالى إلى ست العرايس فلانة . ويضرب طبلته بعد كل تحية . وهو ينشد أمام منازل العظماء وغيرهم بعد أن يقول : عز من يقول لا إله إلا الله محمد الهادى رسول الله أغنية طويلة فى سجع غير موزون يبدأ فيها باستغفار الله ويصلى على الرسول . ثم يأخذ فى رواية قصة المعراج وغيرها من قصص المعجزات .

ويتناول المسحر على العموم من منزل المتوسطى الطبقة قرشين أو ثلاثة قروش أو أربعة فى العيد الصغير (مع الهدايا من الكعك) وفى بعض الليالى يطلبون منه قصصا قصيرة ويلقون إليه بالنقود من النافذة فيروى لهن قصة قصيرة فى سجع غير موزون . مثل قصة الضرتين وهى قصة مشاجرة بين امرأتين متزوجتين من رجل واحد .

ويقام فى هـــذا الشهر آذانان قبيل الفجر يلقى أولهما ويسمى « الأبرار » قبل منتصف الليل ، ويتكون من الآيات الكريمة « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجهـــا

كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا »

ويسمى الآذان الثانى « السلام » وهو مجموعة من الصلاة على الرسول تشبه تلك التى تقرأ قبل صلاة الجمعة ، ويلقى على العموم بعد منتصف الليل بنصف ساعة. ويلقى آذان الصباح أكثر تبكيرا من المعتاد لتنبيه المسلمين إلى تناول السحور .

ويتجول المسحر قبل الإمساك بساعة ونصف ليوقظ من الناس من أمروه بالمناداة عليهم ، فيقرع الباب وينادى إلى أن يجاب ، ويفعل مثله بواب حارة .

وبعض الناس يتناول فطورا خفيفا ويجعلون السحور الوجبة الرئيسية ويفعل آخرون بالعكس ويمضى الكثير من الصالحين الأيام العشرة الأخيرة من رمضان ولياليها فى مسجد الإمام الحسين أو مسجد السيدة زينب .

ويحتفلون بليلة القدر ويعتقدون أن الملائكة تنزل فى بدء تلك الليلة إلى الفجر لتحمل النعم إلى المؤمنين. وأن الدعاء يجاب بلا ريب إذ أن أبواب السماء تفتح حينئذ .

ويقال إن الماء المالح ينقلب فجأة عذبا فى هذه الليلة ، ولذلك يراعى الأتقياء الليالى العشر الأخيرة من رمضان بخشوع عظيم لعدم تحققهم من موعدها ، لأن المتواتر أنها ليلة ٢١ أو ٢٣ أو ٢٥ أو ٢٧ أو ٢٩ .



رمضان

في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة

يتفق هذا الإقليم مع شقيقه الإقليم الجنوبي في كثير من العادات ، وكان لشهر رمضان فيه روعة وجلال .

فترى الناس يهرعون إلى المساجد للعبادة وصلاة التراويح وتلاوة القرآن ، كما يزداد إقبالهم على البر وبذل الصدقات وكانت لهم عادات طريفة في التسحير إذ يوقظون النيام على نغمات الموسيقى وذلك في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين .

وقد وصفهم رحالة في مستهل القرن الحادي عشر الهجري بأنهم يحيون ليالي رمضان المعظم بإقامة التراويح بأحسن أداء يورث النشاط . وأن المكبرين يلونون في التكبير بالأصوات الحسنة . والإمام يصليها بسورة الرحمن بصوت حسن .

وفي أخريات الشهر يصلون مع الإمام اثنتي عشرة ركعة عقب التراويح يزعمون أنها صلاة الرغائب .

وفي هذا الشهر يضاء باب البريد أحد أبواب الجامع الأموي ويزين أجمل زينة .

وفي مدينة حلب إذا ما بلغ الطفل سن المراهقة صام رمضان

فيعمل له فى أول يوم صامه مائدة حافلة مملوءة من أنواع الحلوى يفطر عليها .

وهم يشاركون مصر أيضا فى المسحراتى بطبلته ، وإحياء ليالى رمضان بتلاوة القرآن فى المساجد والدور ، والتذكير قبيل السحور .

وكان يخرج قبل العيد بيومين رجل مضحك « مسخرة » يلبس قلنسوة طويلة فى أعلاها ذنب ثعلب وفى يده دف يدق عليه وأمامه حمار مزين بالخرز الملون والودع ، معصب الرأس بالمناديل الملونة ، فيدور على هذه الهيئة بالأزقة والشوارع مستجديا عارضا ألعابه ورقصه « ويسمونه جحش العيد » .

وكان يخرج فى كل يوم من أيام العيد صبيان قد صبغوا أجسادهم ، ولبسوا ثيابا قصيرة وفى رؤوسهم قلانس طويلة ، وفى أيديهم دفوف يضربون عليها ويمرون على دور الأغنياء مادحين لهم راقصين أمامهم فيمنحونهم الهبات والحلوى ويقال لهم : « بيضا بيضا » .

رمضان فى تونس

وشاركت بلاد المغرب الأقطار الإسلامية فى الحفاوة بهذا الشهر المبارك كما شاركتها فى بعض عوائده وتقاليده .

وقد سبقت الإشارة إلى عوائدهم فى التسحير والتنبيه إلى مواعيد السحور بضرب النفير من فوق المنارات . كضربهم به فى الأفراح وهم يحتفلون بهذا الشهر غاية الاحتفال ويتفرغون فيه للعبادة ويحيونه بالبر والصدقات .

وفى تونس الخضراء يختمون فى غالب المساجد القرآن العظيم فى صلاة التراويح إلا فيما قل من المساجد .

وكذلك اعتناؤهم بختم المسند الصحيح للإمام البخارى رضى الله عنه وبقية الأسانيد الستة ، إلا أن البخارى عندهم أشهر وروايته أظهر وإن كان غيرهم من المغاربة يقدمون كتاب الإمام مسلم بن الحجاج رضى الله عنه على كتاب البخارى . وكلهم على حقيقة وصحة .

رمضان فى استامبول - فى نهاية القرن التاسع عشر :

كانت استامبول إلى هذه الحقبة مقر الخلافة الإسلامية . ولذلك آثرت تتبع إحياء رمضان فيها :

ومن أجل العوائد فى بيت الخلافة وقتئذ قراءة تفسير القرآن الشريف فى شهر رمضان بحضور الخليفة . فيحضر فى القصر السلطانى عشرة من مشاهير المدرسين ومعهم جملة من الطلبة قبيل العصر .

وبعد صلاة العصر يجلس كل واحد منهم فى مجلسه الخاص ، ويجلس الجميع على شكل هلال به أريكة جلالة الخليفة . فيشرع الذى عليه الدور فى الدرس من هؤلاء العشرة فيقرأ التفسير ويسأله الطلبة الحاضرون عما يعن لهم من الأسئلة فى الآية التى يفسرها ، وهو يجيب وهكذا حتى يختم الدرس .

ثم يتبعه فى اليوم التالى أو الذى بعده على ما تقتضيه الإرادة السنية أستاذ آخر من العشرة حتى تتم عدة شهر رمضان فى سماع تلك الدروس . وعلى هذا الأسلوب ، وهى عادة قديمة فى الدولة العثمانية منذ قرنين . وبعد أن ينعم على الأساتذة والطلبة بهبات يقرأ معهم الفاتحة ثم ينصرفون .

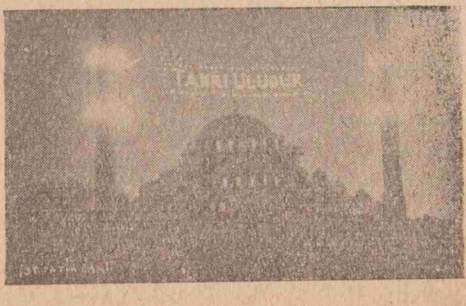
ومن العوائد القديمة فى الآستانة وقتئذ أن يتخذوا صحن مسجد بايزيد فى رمضان سوقا تعرض فيه البضائع على اختلافها . ويبدءوا بإعداد هذا السوق منذ منتصف شهر شعبان فلا يأتى رمضان إلا والصحن معرض عظيم يحرم على النساء ارتياده . ومن العوائد ترتيب الإضاءة فى بعض المساجد بشكل يقرأ منه بعض الكلمات أو الجمل المركبة وكذا ما بين المنارتين فى المساجد المتعددة المنارات حيث تقرأ مرحباً برمضان وما شاكل ذلك بخط جميل من نور فى عرض الجو .

ومن العوائد أيضاً أن ينزل الخليفة فى نصف رمضان لزيارة الخرقة المباركة المودعة فى السراى القديمة الهمايونية . ويكون لهذا اليوم شأن عظيم يحتفل به الصغير والكبير ليجتلوا طلعة خليفتهم .

ومن تقاليدهم أن يتناول كبار رجال الدولة الإفطار على الموائد السلطانية وكذلك أفراد الجند مع أمرائهم وتعطى لهم هبات بعد الإفطار .

أما ليلة ٢٧ ليلة القدر فيحتفلون بها احتفالا خاصاً يحضره الخليفة فى المسجد المحمدى ويصلى فيه صلاة التراويح . وتضاء المدينة تلك الليلة ويكثر فيها الفرح والابتهاج . وفى جامع أيا صوفيا يجتمع الناس فى تلك الليلة ويقرءون القرآن . ويقام بفناء الجامع سوق حافلة .

وإلى وقت ليس بالبعيد كانت طريقة الإضاءة بالكتابة تستعمل بالحروف اللاتينية ولعلها موجودة إلى الآن .



رمضان فى الأدب العربي

لم يترك الأدب العربى شيئا إلا تناوله، وكثيرا ما تناول الأشياء بالقدح أو المدح أو بهما معا وكان لشهر رمضان حظ من الشعر ما بين ترحيب بمقدمه وتوديع له مع استقبال للعيد .

فمن أحسن ما قيل فى التهنئة بشهر رمضان :

نلت فى ذا الصيام ما ترتجيه ووقاك الله له ما تتقيه
أنت فى الناس مثل شهرك فى الأشـ ـهر أو مثل ليلة القدر فيه

ولهبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك من قصيدة :

تهن بهذا الصوم ياخير صائر إلى كل ما يهوى ويا خير صائم
ومن صام عن كل الفواحش عمره
فأهونُ شىء هجره للمطاعم

ولابن الرومى :

شهر الصيام مبارك ما لم يكن فى شهر آب
خفت العذاب فصمته فوقعت فى نفس العذاب

فأكمله شاعر آخر :

اليوم فيه كأنه من طوله يوم الحساب

والليل فيه كأنه ليل التواصل والعتاب

ولمحمد بن الرومى المعروف بماماى :

ولما انقضى شهر الصيام بفضله
تجلى هلال العيد من جانب الغرب
كحاجب شيخ شاب من طول عمره
يشير لنا بالرمز للأكل والشرب

ولابن قلاقس من قصيدة :

وهلال شوال يقـــول مصدقا
بيـدى غصبت النون من رمضان

وللصاحب بن عباد :

قد تعدوا على الصيام وقالوا حرم الصب فيه حسن العوائد
كذبوا فى الصيام للمرء مهما كان مستيقظاً أتم الفوائد
موقف بالنهـار غير مريب واجتماع بالليل عند المساجد

ولعمارة اليمنى :

وهنئت من شهر الصيام بزائر مناه لو ان الشهور عندك أشهر
وما العيد إلا أنت فانظر هلاله فما هو إلا فى عدوك خنجر

وللطغرائى :

قوموا إلى لذاتكم يا نيام ونبهوا العود وصفو المدام

هذا هلال الفطر قد جاءنا بمنجل يحصد شهر الصيام

وقال أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن السلار :

وقد سلت أكف الفطر جهرا على شهر الصيام سيوف باس
ولاح لنا الهلال كشطر طوق على لبات زرقاء اللباس

ولابن المعتز :

اهلا بفطر قد أتاك هلاله فالآن فاغد إلى السرور و بكـر
فكأنما هو زورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

ولظافر الحداد السكندرى :

هلل فإن هلال العيد عاد بما قدكنت تعهد من لهو ومن طرب
كحلقة من لجين ذاب أكثرها
لما تغافل ملقيها على اللهب

وقال الجزار

إن هلال الفطر لما بدا
مستحسنا فى أعين الناس
وددت أن ألثمه عندما
راح يحاكى شفة الكاس

وللأمير تميم بن المعز لدين الله يهنئ الخليفة العزيز بالله بشهر رمضان .

ليهنك إن الصـــوم فرض مؤكد
من الله مفروض على كل مسلم
وإنك مفروضَ المحبـة مثله
علينـا بحـقٍّ قلتُ لا بالتوهم
فهنئته يـا من به الله قابلُ
من الخلق فيه كل نُسْكٍ مقدم
ولا زلت منصورا على فرض صومه
ومعتصما بالله من كل محَــرَّم

وقال : أيضاً يمدح الخليفة العزيز بالله ويهنئه بشهر الصيام

شهر الصيام أجل شهر مقبل
وبـه يمحص كل ذنب مثقل
وكذاك أنتِ أبر من وطىء الحصا
واجلُّ أبنـاء النبى المرسل
يـا حجة الرحمن عنـد عبادة
وشهابَـةُ فى كل أمر مشكل
من لم يـكن صومه متقربا
بـك للإله فصومـه لم يقبل

وحدثنا أحمد بن يوسف من كتاب الدولة العباسية قال أمرنى المأمون أن أكتب إلى جميع العمال فى أخذ الناس بالاستكثار من المصابيح فى شهر رمضان وتعريفهم ما فى ذلك من الفضل فما دريت ما أكتب ولا ما أقول فى ذلك . إذ لم يسبقنى إليه أحد فأسلك طريقه ومذهبه . فقلت فى وقت نصف النهار . فأتانى آت فقال : قل : فإن فى ذلك أنساً للسابلة وإضاءة للمجتهدين ، ونفياً لمكان الريب . وتنزيهاً لبيوت الله من وحشة الظلمة . فكتبت هذا الكلام وغيره مما هو فى معناه .

التشهير بالمفطرين

لأمير الزجل الشيخ محمد النجار مواليا نظمها فى الشريعة الإسلامية استهلها بقوله :

يا تارك الشرع فين تقواك وإيمانك

وفين عهودك وميثاقك وإيمانك

ومنها :

يا خاسر الدين يا فاطر نهار رمضان

طاوع إلهك وخالف النفس والشيطان

دا الصوم هو الصون ومنه صحة الأبدان
لك فرحتين ، فرحتك وقت ما تفطر
والثانية شوف فرحتك فى يوم لقا الديان
الصوم عليك فرض لازم فى نهار رمضان
اصحى تخالف وتترك رابع الأركان
تكف به النفس عما يأمر الشيطان
ونيتك كل ليلة والصيام يثبت
برؤية الشهر وإتمام جميع شعبان

ومنها :

زكاة صيامك عليك واجب تطلعها
ما دمت قادر عليها ليه بتمنعها
طهر بها النفس من بخلك وادفعها
ده نصف صاع قمح أو أزيد ما هوش حاجة
تنفذ حياة ناس قليل المال ينفعها

وللشيخ محمد الجنبهى قصيدة من هذا النوع نقتطف منها :

جاء الكتاب بأعمال لها حكم
إن ظل يعملها الأعمى تبصره
منها الصلاة ومنها الصوم هل سقطت
عنك الصلاة لعذر أنت ذاكره

صام الأفاضل شهر الصوم وانسكبت
دموعهم لشهود لست تحضره
وأنت ساهٍ ولاه غير مرتكب
إلا الذى كاتب الأوزار يحصره
أطعت بطنك كالأنعام تطعمها
ما تشتهيه ألا نُهىً تحاذره
لهم بطنك ما لاحظت عاقبة
يا من تصاغر والدنيا تكبره
ومنها :
وهل ترى الصوم إلا فرط مرحمة
يهدى لها العبد فضلا ثم يأجره
أهل الكمال لهم فى الصوم مصلحة
تخفى على من له بطن تباكره
فيا بطين ومن تدعوه شهوته
أن يمض شهر التهانى وهو مفطره
لا أصلح الله حال المفسدين ولا
بمبعض الدين يوما سرّ زائره

ختام رمضان

اهتمت الدولة الفاطمية بختام رمضان ومقدم العيد اهتمامها باستهلاله . وبالغ خلفاؤها فى الاحتفاء بهما بأشكال متنوعة ، خصوصا وأن عيد الفطر عندهم هو الموسم الكبير ويعرف بعيد الحلل ، حيث توزع فيه كسوة العيد على الخاصة والعامة. وبلغت نفقاتها فى سنة ٥١٥ هـ ١١٢١م حوالى عشرين ألف دينار . وهى ثياب قيمة من نسيج دور الطراز فى تنّيس ودمياط والإسكندرية أعدت فى خزانة الكسوات برسم الرجال والنساء لتوزيعها ليلة العيد .

وفى الوقت نفسه تكون دار الفطرة انجزت الكميات اللازمة من كعك ، وحلوى وكعب الغزال . لتوزيعها وإعداد سماط العيد ، وهى كميات كبيرة يعدونها ابتداء من شهر رجب حتى نصف رمضان .

ولإعداد هذه الأصناف ميزانية كبيرة بلغت ستة عشر ألف دينار لشراء الدقيق وقناطير السكر واللوز والجوز والفستق والسيرج والسمسم والعسل وماء الورد والمسك والكافور .

هذا عدا المناديل والمفارش الحريرية لإعداد السماط والفوط التى يغطى بها الكعك عند توزيعه على الخاصة والعامة .

فإذا كان التاسع والعشرون من شهر رمضان صدرت الأوامر بمضاعفة ماهو مقرر للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة برسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر .

وفى سنة ٥١٥ هـ ١١٢١ م كان الخليفة الآمر بأحكام الله ووزيره المأمون بن البطائحى يحتفيان بختام رمضان احتفاء كبيرا عدَّلا فيه الكثير من تقاليد هذا الاحتفال، فحضر المأمون فى آخر النهار إلى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الأسمطة على العادة، وحضر إخوته وعمومته وجميع المدعوين ، وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن المعد لجلوس الخليفة ، وأرسلت سيدات القصور أوانى الماء ملفوفة فى شقق الحرير . ووضعت أمام المقرئين لتشملها بركة ختم القرآن ، واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة وترتيلا بأصوات حسنة . ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ، ودعا فأبلغ ، ثم رفع الفراشون أوانى الماء برسم سيدات القصور ، ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا فى إنشاد أدعية صوفية إلى أن نثر عليهم الخليفة من الروشن دراهم ودنانير ، ووزعت

عليهم أطباق القطائف مع الحلوى ، ووزعت خلع العيد على الخطيب وغيره كما وزعت الدراهم على المقرئين والمؤذنين .

وفى الوقت نفسه تحمل أنواع الكعك والحلويات إلى قاعة الذهب وتجد السماط فى قاعة العرش مع تماثيل الحلوى ، ثم يحضر الخليفة مع الوزير إلى الإيوان والمقرئون يتلون آيات من القرآن يختارونها لتلك المناسبة مثل قوله تعالى : « والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون » .

وحينما يجلس الخليفة فى الإيوان يجلس على يمينه الوزير ثم يجلس بعده الأمراء بعد أداء التحية، كل فى المكان المخصص له ، ويتبعهم الرسل الواصلون من جميع الأقاليم وهم وقوف فى آخر الإيوان .

ثم يتقدم متولى كل اسطبل من الرواض وغيرهم فيقبل الأرض ، ثم يستعرض الخليفة ومن معه الدواب بفرسانها بملابسهم المهداة لهم إلى أن يتم عرض جميع ما أحضروه . وهو مايزيد على ألف فرس .

وبعد العرض يعاود المقرءون القراءة مختارين آيات من

القرآن مثل قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنينَ والقناطيرِ المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياةِ الدنيا والله عنده حسنُ المآب .

ثم يتلون بعدها قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء (الآية) وبعد ذلك يستعرض الخليفة الوحوش بالأجلة الديباج والديبق بقباب الذهب والمناطق والأهلة . وبعدها النجب والبخاتى بالملابس المزركشة . ثم يستعرض السلاح وآلات الموكب جميعها .

هذا والموسيقى تعزف على بابَ العيد ، كل هذا والخليفة جالس فى المنظرة بين باب الذهب وباب البحر من القصور الفاطمية .

وبعد أن يحمل إلى الخليفة فطوره الخاص المعطر بالمسك والعود والكافور والزعفران مع أنواع البلح الملونة التى يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره المعبأة ، فى أطباق الذهب المكللة بالجوهر ، يستعرض الوزير سماط العيد بقاعة الذهب . وفى الوقت نفسه يعتلى الخليفة سرير ملكه ويقدم إليه فطوره فيجلس عن يمينه الوزير بعد تأدية التحية والسلام ، ثم يأمر بإحضار

الأمراء المميزين والقاضى والداعى والضيوف والرسل ويكشف الغطاء عن فطور الخليفة فيأخذ تمرة يفطر عليها . وناول مثلها للوزير فأظهر الفطر عليها ، وتناول الخليفة من جميع ما قدم له ويناول وزيره منه وهو يقبله ويجعله فى كمه ، وهكذا مع بقية المدعوين يناولهم الخليفة بيده فيجعلونه فى أكمامهم بعد تقبيله .

ثم يأذن الوزير بناء على أمر الخليفة بافتتاح السماط والسماح للحاضرين بالأكل منه وأخذ ما يشتهون معهم ، ولاحرج من ذلك بل له به الشرف والميزة ، وافتتح السماط ، ثم أذن للناس بالدخول وأخذ ما على السماط .

وكذلك أعد الوزير فى داره سماطاً مثل هذا السماط لاينقصه إلا الفطور الخاص بالخليفة ، وبعد انصرافه من القصر يأذن بافتتاح سماطه للخاصة ، ثم إباحته للعامة .

وفى هذا الوقت تكون قد وزعت بقية الخلع على الجند والمستخدمين ليخرجوا بها فى موكب صلاة العيد .

صلاة العيد :

كانت صلاة العيد تؤدى فى مصلى العيد خارج باب النصر وهى مصلى كبيرة قائمة على ربوة وجميعها مبنى بالحجر ، ومحاطة

بسور وعلى بابها قلعة ، وفى صدرها قبة كبيرة بها محراب ، والمنبر إلى جانب القبة وسط المصلى مكشوفا تحت السماء. ارتفاعه ثلاثون درجة، وعرضه ثلاثة أذرع ، وفى أعلاه جلسة الخطيب .

فإذا اكمل رمضان وهو عندهم ثلاثون يوما . وكان اليوم من شوال صار صاحب بيت المال إلى المصلى خارج باب النصر وفرش السجاد بمحراب المصلى، ويعلق سترين يمنة ويسرة مرقوم فى الأيمن : الفاتحة وسورة سبح اسم ربك الأعلى ، وفى الأيسر مرقوم الفاتحة وسورة هل أتاك حديث الغاشية ، ويركز فى جانبى المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة . وهما منشوران مرخيان . ويوضع على ذروة المنبر طراحة من حرير ديبقى . كما يفرش درج المنبر بحرير مثبت فيه .

وفى هذا اليوم يسير الوزير من منزله ومعه كبار الموظفين وأولاده وإخوته فى ملابسهم الجديدة إلى باب القصر ، ويركب الخليفة بهيئة المواكب العظيمة مثل موكب رؤيا رمضان وأول العام ، وتكون ملابسه فى هذا اليوم بيضاء موشحة وهى أجمل ملابسه . ومظلته كذلك ، ويخرج من باب العيد على عادته فى ركوب المواكب ، إلا أن العساكر فى هذا اليوم من الأمراء والأجناد والركبان والمشاة تكون أكثر ، وينتظم الجند له فى صفين من

باب القصر إلى المصلى ، فيركب الخليفة إلى المصلى فيدخل من شرقيها إلى مكان يستريح فيه فترة ، ثم يخرج محفوفا بحاشيته كما فى صلاة الجمع قاصدا المحراب والوزير والقاضى وراءه ، فيصلى صلاة العيد ، ويقرأ فى الركعة الأولى ما هو مكتوب فى الستر على يمينه ، وفى الثانية ما هو مكتوب فى الستر الذى على يساره ، فإذا انتهت الصلاة وسلم صعد المنبر لخطبة العيد ، فإذا ما انتهى إلى ذروة المنبر جلس على تلك الطراحة الحريرية بحيث يراه الناس ، ويقف أسفل المنبر الوزير وقاضى القضاة وكبار الموظفين والأقارب ونقيب الأشراف الطالبيين ، ثم يشير الخليفة إلى الوزير بالصعود فيصعد حتى ينتهى إلى الخليفة ، وبعد تقبيل يده يقف إلى يمينه ويشير إلى قاضى القضاة فيصعد إلى سابع درجة مقدما إلى الخليفة نص الخطبة الذى أعدها ديوان الإنشاء وسبق عرضها على الخليفة ، وبعد مقدمات وإشارات يستر الخليفة باللواءين المركزين فى جانبى المصلى ، وينادى على الناس بالإنصات فيخطب الخليفة خطبة مناسبة للعيد يقرؤها من النص الذى قدم له.

فإذا فرغ من الخطبة ألقى كل من فى يده شىء من اللواء خارج المنبر فينكشفون وينزلون القهقرى أولا بأول الأقرب فالأقرب فإذا أخلى المنبر للخليفة هبط ودخل المكان الذى خرج منه ،

فيلبث قليلا ثم يركب بالهيئة التى قدم بها إلى المصلى ويعود فى طريقه التى أتى منها ، فاذا قرب من القصر تقدمه الوزير على العادة ثم يدخل من باب العيد الذى خرج منه ، فيجلس فى الديوان الكبير وقد مد فيه إلى فسقية بوسطه سماط فيه أنواع الكعك، فيأكل من يأكل ، وينقل من ينقل بلا حرج ولا مانع، ثم يقوم من الديوان فيركب إلى قاعة الذهب وبها سرير الملك وبوسطها مائدة من فضة أقيم بجانبها سماط كبير ، فيترجل من على السرير ويجلس على المائدة ، ويستدعى الوزير فيجلس معه ، ويجلس الأمراء على السماط ، ولا يزال كذلك حتى يستنفد ما على السماط قريب صلاة الظهر ، ثم يقوم وينصرف الوزير إلى داره والأمراء فى خدمته فيمد لهم سماطا يأكلون منه وينصرفون .

وهنا تصدر الأوامر بإذاعة سجل عيد الفطر ونصه :

أما بعد فالحمد لله الذى رفع بأمير المؤمنين عماد الإيمان ، وثبت قواعده ، وأعز بخلافته معتقده ، وأذل بمهابته معانده ، وأظهر من نوره ما انبسط فى الآفاق وزال معه الأظلام ، ونسخ به ما تقدمه من الملل فقال : إن الدين عند الله الإسلام ، وجعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره ويباهيه ، وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه ، وصلى الله على سيدنا

محمد نبيه الذى اصطفى له الدين وبعثه إلى الأقربين والأبعدين ، وأيده فى الإرشاد حتى صار العاصى مطيعا ، ودخل الناس فى التوحيد فرادى وجميعا ، وغدوا بعروته الوثقى متمسكين ، وأنزل عليه « قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين » ، وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، إمام الأئمة وكاشف الغمة وأوجه الشفعاء لشيعته يوم العرض . ومن الإخلاص فى ولائه قيام بحق وأداء فرض .

وعلى الأئمة من ذريتهما سادة البرية ، والعادلين فى القضية ، والعاملين بالسيرة المرضية ، وسلم وكرم وشرف وعظم ، وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة . وقد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه وأداته ، وجريه فى ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه ، وما ينبئك به ويطلعك على مستوره عنك ومغيبه ، وذلك أنه دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح ، وعاد المحرم المحظور بما أطلقه المحلل المباح . توجهت عساكر أميرالمؤمنين من مكانها إلى بابه ، وأفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام وثوابه . ثم انثنت إلى مصافها فى الهيآت التى يقصرعنها تجريد الصفات . وتغنى

مهابتها عن تجريد المرهفات ، وتشهد أسلحتها وعددها بالتنافس في الهمم ، وتقلق مواضيها في اعتمادها شوقا إلى الطلى والقمم ، وقد امتلأت الأرض بازدحام الرجل والخيل وثار العجاج . فلم ير أغرب من اجتماع النهار والليل .

وبرز أمير المؤمنين من قصوره . وظهر للأبصار على أنه محتجب بضيائه ونوره . وتوجه إلى المصلى في هدى جده وأبيه ، والوقار الذى ارتفع فيه عن النظير والشبيه ، ولما انتهى إليه قصد المحراب واستقبله ، وأدى الصلاة على وضع رضيه الله وتقبله ، وأجرى أمرها على أفضل المعهود . ووفاها حقها من القراءة والتكبير والركوع والسجود ، وانتهى إلى المنبر فعلا وكبر الله ، وهلله على ما أولاه ، وذكر الثواب على إخراج الفطرة وبشّر له . وأن المسارعة إليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه ووعظ وعظا ينتفع قابله فى عاجلته ومنقلبه . ثم عاد إلى قصوره الزاهرة مشمولا بالوقاية . مكنوفا بالكفاية . منتهيا فى إرشاد عبيده ورعاياه أقصى الغاية ، اعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن إليه وتعلن بتلاوته على الكافة ليشتركوا فى معرفته ويشكروا الله عليه . فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى .

وكانت مواكب العيدين تحاط بأنواع من المرح : فقد كان من أهل برقة طائفة تعرف بصبيان الخف لها اقطاعات ومرتبات ، وكسوات ، يقومون بألعاب بهلوانية فى الحفلات . فإذا ركب الخليفة فى العيدين مدوا حبلين مسطوحين من أعلى باب النصر إلى الأرض . حبلا عن يمين الباب وحبلا عن شماله . فإذا عاد الخليفة من صلاة العيد مارا بباب النصر ، نزل على الجبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون وفى أيديهم الرايات وخلف كل واحد منهم رديف وتحت رجليه آخر معلق بيديه ورجليه . ويأتون بحركات تذهل العقول .

ويركب منهم جماعة فى الموكب على خيول فيركضون وهم يتقلبون عليها ويخرج الواحد منهم من تحت إبط الفرس وهو يركض ويعود يركب من الجانب الآخر . ويعود وهو على حاله لا يتوقف ولا يسقط منه شيء إلى الأرض . ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف .

الكعك

وعلى ذكر الكعك وعمله وتوزيعه أذكر أن الدولة الأخشيدية سبقت الدولة الفاطمية فى العناية بكعك العيد وبشكل ظريف ، فيؤثر عن أبى بكر محمد بن على المادرائى وزير الدولة الأخشيدية ، أنه عمل كعكا حشاه بالدنانير الذهبية اطلقوا عليه وقتئذ اسم (افطن له) .

وعناية الفاطميين بالمائدة وعمل الكعك ، جعل لمطبخهم وطباخيهم شهرة ، وقد بقيت من طباخيهم بقية عملت فى القصور الأيوبية . ومنهم طباخة كانت تعمل كعكا شهياً عرف بها (كعك حافظة) .

وللشاعر المصرى الجمال أبو الحسن الجزار المتوفى سنة ٦٧٩ هـ ١٢٨٠ م أبيات طريفة فى طلب الكعك وحلويات العيد .

منها ما كتبه إلى الأمير جمال الدين بن يغمور :

أيهذا الأميرُ قد أشكل المعـــنى وما زاتَ عارفا بالمعانى
ظاهر البستندود لم أدر ماذا فيه حملاو باطن الخُشكنان
أترانى فى العيد أجهل ذا المعـــنى كجهل الحلواء فى رمضان

واستمرت مصر معنية بعمل الكعك وتوزيعه كصدقة على

على الفقراء حتى لا يحرموا منه ، وتنص ، الوقفيات على توزيعه في عيد الفطر على الفقراء واليتامى . ومنها وقفية الأميرة تتر الحجازية والتي ينص فيها على توزيع الكعك الناعم والخشن على موظفي مدرستها التي أنشأتها سنة ٧٤٨هـ ١٣٤٨م

وأصبح سكان مصر يتهادونه من وقتها إلى الآن ويتفاخرون بإجادته ، ويقول محمد بن السعودي الخياط وكان يسكن درب الأتراك بجوار الأزهر أنه في سنة بضع وستين وسبعمائة جاءه في عيد الفطر من الجيران أطباق كعك على عادة أهل مصر ملأ بها زيراً كبيراً ، لأن هذا الخط كان يسكن به الأكابر والأعيان .

ولرواج هذا النوع من الحلوى اهتم به تجار الحلوى . وكانت أسواقه رائجة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، وكانت تروق رؤية الكعك بأنواعه في عيد الفطر لكثرة ما يعرض منه في حوانيتهم .

وكان للفن دخل في صناعته ، فعملت له القوالب المنقوشة والمكتوبة ومنها مجموعة في متحف الفن الإسلامي مكتوب على بعضها : كل هنياً ، كل واشكر . كل واشكر مولاك . بالشكر تدوم النعم .

ولم يقف الاهتمام بالعيد عند عمل الكعك وأصناف الحلوى ،

بل شمل السمك المملح . وكنت أظن مصر حديثة عهد به حتى رأيت أنها متعلقة به من قبل القرن الثالث عشر الميلادى ونجد سبط ابن الجوزى فى القرن الثالث عشر الميلادى يقول : إنه أكل يوم عيد الفطر سمكا مملحاً .

وكذلك انتقد ابن الحاج من علماء مصر فى أول القرن الرابع عشر الميلادى أهل مصر فى أكلهم السمك المشقوق فى عيد الفطر ، كما انتقدهم فى أكل الكعك عقب الصيام ، لأن كليهما ضار عقب الصيام .

وفى دولتى المماليك كانت تقام حفلات استقبال الأمراء والأعيان بعد صلاة العيد فى الميدان تحت القلعة وفى القصر الأبلق والحوش السلطانى بداخل القلعة ، وتوزع الهدايا .

وكانت تلك الهدايا تعرض على السلطان قبل العيد فى موكب تتقدمه الموسيقى .

ومنذ القرن التاسع عشر الميلادى والمدافع تطلق فى الأوقات الخمسة أيام العيد احتفاء وابتهاجا به .

وعهدنا بالشعراء والأدباء يتقدمون بالتهانى بالعيد ما بين نظم ونثر ومن طريف ما وقفت عليه زجل لأمير الزجل الشيخ محمد النجار فى العيد ووداع رمضان .

العيد أتى والصوم روّح ويقول لك الله يا صايم
تعيش لأمثاله وتفرح ويعيش لك الخير الدايم

دور

إصحى تكون فت قيامك فى كل ليلة من شهره
ولاّ أخليت بصيامك والرب أغضبته بفطره

دور

إصحى يكون روّح غضبان منك وعنك غير راضى
وكنت فيه جيعان عطشان خالى من الآداب فاضى

دور

ما قلت لك صومك لك صون والرب من كرمه يعينك
دا الأجر فيه مضمون مأمون ما دمت ماسك فى دينك

دور

وارجع وأقول لك وأعيدلك ياللى بشهر الصوم خليت
وبس حراقه بأكلك لا فول ولا طرشى خليت

دور

يا ناس يكفينا تقصير فى كل طاعة وعبادة
الوقت دا كله تحسير لنفسنا فوق العادة

دور

عملت لى صيامك موضة　　وطلعت فى الكذب البايخ
وتدب بطنك فى الأوضة　　وفى السكك تعمل دايخ

دور

مشيت بسبحة وعصاية　　تلعب بها وتطوحها
وجبت ساعة بدلاية　　فى كل ساعة تفتحها

دور

يا خسارة أوقات الطاعات　　تمر والعاصى غفلان
يا خسارتك يابو الحسنات　　ياللى الإله سماك رمضان

دور

يا اللى الإله عظَّم شانه　　بين السنة عُلاه فى القدر
على النبى فيه قرآنه　　قد أنزله وفيه ليلة القدر

دور

يا ما أحسنك يا اللى صمته　　وقمت بفروضه وسننه
كان وفى ليله قمته　　والرب قواك من منه

دور

إبكى عليه لما ودع　　دى غرش أيام معدودة
كانت موادنه بتلعلع　　وكان جوامعه موقودة

دور

كانت جميع الناس تسهر مع بعضها ويحصل إيناس
حكمه من المولى تظهر بالائتلاف ما بين الناس

دور

وكل حاجة فى الإسلام بالاجتماع تمشى وتشير
أسرار عجيبة فى الأحكام يظهر لها حكم وتأثير

دور

وقت القيام فى جملة ناس تقوم صفوف بنيان مرصوص
والعيد لجملة ناس أجناس يجمع وفيه إيلاف مخصوص

دور

يا ناس أهو العيد أقبل قابلوه بقى بكحكه وخلقه
واللى يكون صومه يقبل يشكر إلهه اللى خلقه

دور

يشكر إلهه اللى أعطاه صحة وله جاد بالعافية
ولمثل هذا العيد أبقاه ودى تهانى به وافية

الفهرس

صفحة

إذا جاء رمضان !...

إذا جاء رمضان ... فتّحت أبواب الجنة ، وغلّقت أبواب جهنم ، وصفّدت الشياطين ، ونادى مناد :

يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر

« حديث شريف »

المكتبة الثقافية

تحقق اشـــتراكية الثقافة

صدر منها للآن :

١ — الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين للأستاذ عباس محمود العقاد
٢ — الاشتراكية والشيوعية ...... للأســتاذ على أدهم
٣ — الظاهر بيبرس فى القصص الشعبى للدكتور عبدالحميد يونس
٤ — قصة التطور .... للدكتور أنور عبد العليم
٥ — طب وسحر .... للدكتور پول غليونجى
٦ — فجر القصـة .... للأستاذ يحيى حقى
٧ — الشرق الفنان .... للدكتور زكى نجيب محمود
٨ — رمضان .... للأستاذ حسن عبدالوهاب

الثمن قرشان فقط

المكتبة الثقافية

مكتبة جامعة لكل أنواع المعرفة
فاحرص على ما فاتك منها . . .

واطلبه من :

١ — دار القلم .... ١٨ شارع سوق التوفيقية

٢ — مكاتب شركة توزيع الأخبار ... فى الإقليم المصرى

٣ — وكلاء الشركة القومية .... فى جميع البلاد العربية